منهج التربية النبوية للطفل

Prophetic Education Method For

CHILD

٢

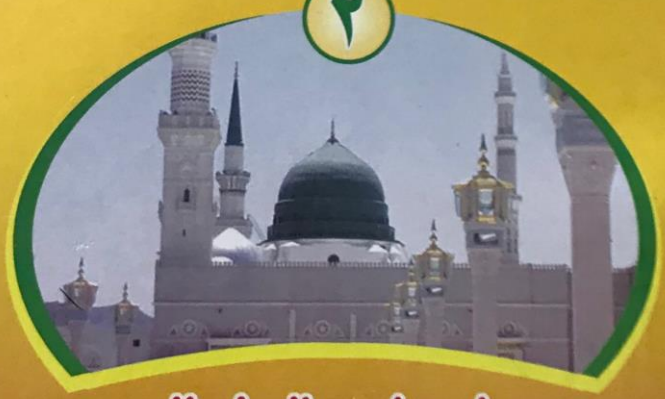

محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

دار ابن حزم

دار الوفاء

المبحث الثالث

تهذيب الدافع الجنسي للطفل

تمهيد :

أسس تهذيب الدافع الجنسي للطفل .

الأساس التهذيبي الأول : استئذان الطفل في الدخول .

الأساس التهذيبي الثاني : تعويد الطفل غض البصر، وحفظ العورة.

الأساس التهذيبي الثالث : التفريق قي المضاجع بين الأطفال .

الأساس التهذيبي الرابع : نوم الطفل علي شقه الأيمن .

الأساس التهذيبي الخامس : ابتعاد الطفل عن الاختلاط والمهيجات الجنسية .

الأساس التهذيبي السادس : تعلم الطفل المميز فروط الغسل، وسننه .

الأساس التهذيبي السابع : شرح مقدمة سورة النور للطفل المميز.

الأساس التهذيبي الثامن : المصارحة الجنسية للطفل المميز، والتحذير من الفاحشة .

الأساس التهذيبي التاسع : الزواج المبكر .

خاتمة : علامات البلوغ .

تهذيب الدافع الجنسى للطفل [1]

تمهيد :

حرص الإسلام على تنشئة الإنسان تنشئة متوازنة، بحيث يتكون تكوينا منسجما مع طبيعته التى خلقها الله، ومع فطرته التى فطره عليها، وهكذا كانت إحدى خصائصه المميزة التوازن فى الأمور كلها بلا إفراط ولا تفريط .

والدافع الجنسى خلقه الله تعالى فى النفس البشرية ليكون سببا فى استمرار الكائنات الحية جميعها، ومن بينها الإنسان، وقد خص الله تعالى زمنا معينا لتفجير هذه الطاقة فى الإنسان؛ ليصبح قادرًا على الإنجاب... وسمى الشرع الحنيف هذا السن بسن التكليف، أي : بدخول الطفل هذا السن يصبح مسؤولا عن تصرفاته، محاسبا على أعماله .

ولكى يسير الدافع الجنسى فى نفس الطفل بشكل هادىء، بلا تهيجات خارجية تغذيه نحو الانحراف عن السلوك القويم، رعى الإسلام هذا الطفل، وطالبه بأوامر ونواه؛ وذلك لكى يتهذب الدافع الجنسي، ويبقى متوازنا طاهرا بلا انحراف، نقيًا بلا تلوث .

فما هى الأسس والقواعد الضابطة التى خصها رسول الله ﷺ فى تهذيب الطفل جنسيًّا؛ وذلك ليقوم الوالدان باتباعها، فيحفظوا بها طفلهم من الانحراف الجنسي، وتبقى فطرته نظيفة طاهرة عفيفة، لم تخدشها الجاهلية بمستنقعها الآسن؟

الأساس التهذيبى الأول : استئذان الطفل فى الدخول :

الطفل يعيش فى منزله كثيرا، ويتنقل سريعا فى أرجاء البيت، والاستئذان بالنسبة له أمر صعب وشاق فى كل لحظة، وفى كل آن، لذلك وجدنا القران الكريم يحدد للطفل الصغير طريقة الاستئذان، فيتناولها بالرعاية، والتوجيه، وذلك بأسلوب تدريجى رائع، فحددها له أولا، وهو طفل صغير أن يستأذن فى ثلاث أوقات حساسة : من قبل صلاة الفجر... ووقت الظهيرة عند القيلولة .. وبعد

(١) أمور الجنس بحاجة لتهذيب وليس إلى بناء لأنها موجود فى النفس بشكل قوي، فالحاجة إلى تهذيبها هو العملية التربوية، بخلاف غير المسلمين الذين يبيحون الجنس فى كل مراحل العمر بالاتصال المحرم .

صلاة العشاء .

ونلاحظ أن هذه الاوقات هى أوقات نوم الوالـدين، وقـد دخـلا فى غرفـة النوم، حتى إذا قرب من سن الاحتلام وجب عليه الاستئذان فى البيت فى الـدخول على والديه فى كل آن، وكلما وجد أمامه الباب مغلقا فى وجهه ، ووالداه فى الغرفة .

فلنعش لحظات مع التوجيـه القرآنـى الـذى يخـص هـذا الأمـر بالتفصـيل، والبيان دون غيره، لما له من أهمية كبيرة فى ميزان الشرع .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٩ ﴾ [النور] .

«ففى هـذه الأوقـات الثلاثـة لا بـد أن يسـتأذن الخـدم وأن يسـتأذن الصـغار المميزون، الذين لم يبلغوا الحلم، كيلا تقع أنظارهم على عورات أهليهم .

وهـو أدب يغفلـه الكثـيرون فى حيـاتهم المنزليـة، مسـتهينين بآثـاره النفسـية، والعصبية، والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة !

وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر النفسيون اليوم ـ بعد تقدم العلوم النفسية ـ أن بعض المشاهد التى تقع عليها أنظار الأطفـال فى صـغرهم هى التى تؤثر فى حياتهم كلها، وقد تصـيبهم بـأمراض نفسـية، وعصـبية، يصـعب شفاؤهم منها» [1] .

فهل تريدان أيها الوالدان أن يمرض طفلكما ؟ وبـأى مـرض؟ إنـه بـالأمراض النفسية، والعصبية، التى يصعب شفاء الطفل منها .

وما هو السبب يـا تـرى؟ إنـه تهـاون الوالـدين فى تعويـد طفلهـما الاسـتئذان للدخول فى الأوقات الثلاثة، التى تكون فيها عورات الوالدين منكشفة، لهـذا نجـد النبى ﷺ يعلم أن الاستئذان كما روى البخارى فى الأدب المفرد [2] .

(١) فى ظلال القران (18/ 123) .
(٢) من الحديث (807) .

عن أنس قال : كنت قادمًا للنبى ﷺ، فكنت ادخل بغير استئذان، فجئت يوما فقال : كما أنت يا بنى، فإنه قد حدث بعدك أمر: «لا تدخلن إلا بإذن» .

ومن هنا وجب أيضا على الوالدين أن يسترا عوراتهما فى كل آن أمام طفلهما، لكى يساعداه على سير غريزته الجنسية بشكل طبيعي، دون تسرع بالمهيجات، فلنتجنب .. ولننتبه .. ولنستجب لنداء الله تعالى ورسوله لما يحيينا .

حكم الطفل غير المميز :

إن الطفل الصغير الذى لا يميز محاسن وقبح النساء، وكذلك البنت التى لم تبدأ معالم البلوغ عندها، لهما حكم خاص بهما نصت الآية عليه :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور] .

وهذه عائشة ـ رضى الله عنها ـ يأتيها الصبيان والصغار، ويرون لباسها، قال عطاء : كنت آتى عائشة أنا وعبيد بن عمير، وهى مجاورة فى جوف ثبير، قلت : فما حجابها حينئذ؟ قال : فى قبة لها تركية، عليها غشاء لها، بيننا وبينها، قال : ولكن قد رأيت عليها درعا معصفرا، وأنا صبي [1] .

الأساس التهذيبى الثانى : تعويد الطفل غض البصر، وحفظ العورة :

أن البصر هو نافذة الطفل على العالم الخارجي، فما تراه عيناه ينطبع فى ذهنه، ونفسه، وذاكرته بسرعة فائقة ... فإذا تعود غض بصره عن العورات كافة المنزلية والخارجية، مستعينا بمراقبة الله تعالى له، كما فعل الطفل الصالح عبدالله التسترى، الذى كان يردد ورده القلبى قبل أن ينام : «الله شاهدي .. الله ناظري .. الله معى» فإن ذلك يورث حلاوة الإيمان، التى يجدها الطفل فى نفسه .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (5/ 67) قال حبيب الرحمن الأعظمى معلقا : وأخرجه البخارى دون قوله : «وأنا صبي» (3/ 311) .

وقد يتهاون الطفل أحيانا، وينسى أخرى، ويغلبه هواه فى لحظة ما، فيرسل بصره نحو الفتيات بشهوة وتلذذ، فماذا فعل رسول الله ﷺ فى مثل هذا الموطن؟

أخرى البخارى والترمذى وأبو داود عن عبد الله بن عباس قال :

«كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر» (١) .

وروى أحمد عن الفضل بن عباس قال : كنت رديف رسول الله ﷺ من جمع إلى مني، فبينا هو يسير إذ عرض له أعرابى مردفا ابنه له جميلة، وكان يسايره، قال : فكنت أنظر إليها، فنظر إلى النبى ﷺ فقلب وجهى عن وجهها، ثم أعدت النظر فقلب وجهى عن وجهها حتى فعل ذلك ثلاثا، وأنا لا انتهى، فلم يزل يلبى حتى رمى جمرة العقبة (٢) .

وروى زنجويه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان الفضل بن عباس رديف النبى ﷺ يصرف وجهه بيده ويقول : «ابن أخى، إن هذا يوم من غض فيه بصره وحفظ فرجه ولسانه غفر له » (٣) .

وفى رواية ابن جرير فى «تهذيب الآثار» أن العباس قال للنبى ﷺ :

رأيتك تصرف وجه ابن عمك! فقال رسول الله ﷺ : «رأيت جارية حدثة، وغلاما حدثا، فخشيت أن يدخل بينهما الشيطان» .

وعن ابن عباس ﷺ ما قال : كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ قال : فأنت رسول الله ﷺ امرأة من خثعم تستفتيه، قال : فجعل الفضل ينظر إليها، وتنظر إليه، قال: فجعل يصرف وجه الفضل بيده إلى الشق الآخر، قالت : يا رسول الله، إن فريضة الله فى الحج على عباده أدركت أبى شيخا كبيرا، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال : «نعم» .

رواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 343) ورواه البخارى ومسلم .

فإذا لا بد من تعويد الطفل غض البصر عن العورات فى كل مكان، حتى لاتتسرع غريزته الجنسية بالنضوج المبكر، السريع الشاذ، الذى قد يسبب اضرارا،

---

(١) الكنز (5/ 188و204) ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 261) .
(٢) المسند (1/ 211) .
(٣) ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 260) وأبو يعلى فى مسنده (1/ 264) .

وأخطارا ذاتية، وجسمية، ونفسية، واجتماعية، وخلقية .

وقد ذكر الشيخ عبد الحميد كشك ـ رحمه الله تعالى ـ فى إحدى خطبه قول أحد علماء الألمان حول أهمية غض البصر، وأنه العلاج الوحيد للجنس قوله :

لقد درست علم الجنس، وأدوية الجنس، فلم أجد دواء انجح، وانجع من القول فى الكتاب الذى نزل على محمد ﷺ : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: 30] .

أما ستر العورة فإن الطفل يتعودها مع بداية أمره بالصلاة، حيث لا بد أن يكون لباسه ساترا لعورته، وذلك لتكون صلاته صحيحة سليمة من صغره، وبالتالى ينشأ على حب ستر العورة، صبيا كان أم بنتا، فالصبى يلبس ما يستر عورته، والبنت كذلك، وتزيد عليه أن تتعود الحجاب، فتبدأ بحجاب الصلاة، وهكذا ينشأ الطفل مستقيما صالحا مهذبة نفسه، قويمة أخلاقه، قويا فى إيمانه .

الأساس التهذيبى الثالث : التفريق فى المضاجع بين الأطفال :

وهو ركن أساسى فى تهذيب الطفل جنسيا، وعدم إثارة غريزته بشكل سىء، وهذا لا نظير له فى العالم كله من تشريعات ... إنها نظرة النبوة، والدقة النبوية فى تهذيب الطفل، والاهتمام به، فروى أبو داود بسند حسن عن النبى ﷺ :

«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع» .

وفى رواية الحاكم فى مستدركه (1/ 201) وقال : صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي: «إذا بلغ أولادكم سبع سنين ففرقوا بين فرشهم، وإذا بلغوا عشر سنين فاضربوهم على الصلاة» . ورواه الدارقطنى (1/ 230) .

إذا هذا التفريق يبدأ فى سن العاشرة، حيث تكون الغريزة فى طريقها للنمو، ولكن كيف يتم التفريق فى المضجع؟ إنه عدم نوم طفلين تحت لحاف واحد، أو ينامان فى سرير واحد، إما على فراش واحد، وبلحافين مختلفين فلا حرج . وكلما ابتعدا عن بعضهما فهو أفضل .

قال العلامة شاه ولى الله الدهلوي :

«وإنما أمر بتفريق المضاجع، لأن الأيام أيام مراهقة، فلا يبعد أن تفضى

المضاجعة إلى شهوة المجامعة، فلا بد من سد سبيل الفساد قبل وقوعه» [1] .

لذلك فان النوم فى فراش تحت لحاف واحد، يؤدى بالأطفال أن تنمو فيهم الغريزة الجنسية بسرعة متزايدة، وان تتأجج فلا تجد طريقا لإنقاذها إلا ببعض مظاهر الانحراف، والشذوذ الجنسي . وكم تحدث شذوذات تحت اللحاف لا يشعر بها الأبوان، فتكون سببا فى دمار هؤلاء الأطفال الأبرياء، الذين تساهل آباؤهم عن أحوالهم، فوضعوهم فى مخالفة أوامر النبى ﷺ !

ورسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم] يقدم لنا أمرا صريحا : «وفرقوا» فالمؤمن يمتثل فيفرق، وأين التفريق؟ إنه «بينهم فى المضاجع» . فأين التربية الغربية والشرقية من التوجيه النبوى الرائع؟!

الأساس التهذيبى الرابع : نوم الطفل على شقه الأيمن، وابتعاده عن النوم على بطنه :

اتباع سنة رسول الله ﷺ بالنوم على الشق الأيمن يبعد الطفل عن كثير من المهيجات الجنسية أثناء النوم، وقد وصف ﷺ النوم على الوجه بنومة الشيطان ... فإذا نام الطفل على بطنه، فيؤدى ذلك إلى كثرة حك أعضائه التناسلية التى تثير شهوته فى هذه الحالة، فإذا وجد الوالدان الطفل فى هذه الحالة نائما غيرا من حالته، وحببوا إليه النوم على الشق الأيمن، والابتعاد عن النوم على الصدر... فضلا عن أن النوم على الصدر يورث كثيرا من الأمراض الجسمية ... والأطباء جميعا بدون استثناء ينصحون بالابتعاد عن النوم على البطن .

الأساس التهذيبى الخامس : ابتعاد الطفل عن الاختلاط، والمهيجات الجنسية :

انطلاقا من القاعدة القائلة : «وبضدها تتميز الأشياء»، سنعرض بين يديك التجربة الأوروبية فى الاختلاط، وما نتج عنه بين الأطفال ذكورا وإناثا، الأمر الذى تشمئز منه النفوس الطاهرة العفيفة، فقد أورد الشيخ وهبى سليمان الغاوجى عن التجربة الغربية، وأننا إذ نقدم هذه التجربة الفاشلة للآباء والمربين؛ لأن النفوس المسلمة الضعيفة تعودت أن تأخذ التجربة الأوروبية محل اعتبار وتقدير، وتتثاقل مسامعها من وعظ الواعظين فى المساجد والخطب، وهم يحذرونهم من وباء الاختلاط، فإليك هذه الطائفة من الحوادث، إن فى ذلك لذكرى لمن ألقى السمع وهو شهيد، فقال :

---

(١) حجة الله البالغة (1/ 186) .

«حدثنى الأستاذ الكبير أحمد مظهر العظمة أنه حين ذهب منذ سنين فى رحلة علمية إلى بلجيكا، لاحظ مدرسة ابتدائية هناك، وهى تقوم بجولات فى مدارسها، جميع طلابها بنات، فسأل المديرة : لماذا لا تخلطون البنين مع البنات فى هذه المرحلة؟ قالت : قد لمسنا أضرار اختلاط الأطفال حتى فى سن المرحلة الابتدائية» .

وإن لم تصدق هذا الكلام، فإليك الأرقام لتتكلم معك :

«قال القاضى لندسى فى كتابه «تمرد النشء الجديد» : إن الصبية فى أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان، ومن السن الباكرة جدا يشتد فيهم الشعور الجنسي» .

ويحدث هذا القاضى عن أحوال (312) صبية على سبيل النموذج فيقول :إن (255) صبية منهن كن أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشرة والثالثة عشرة من سنى أعمارهن، فيهن من أمارات الشهوة الجنسية، والمطالب الجنسية ما لا يكون عادة إلا فى بنات الثامنة عشرة فما فوقهن سنا .

ويقول الدكتور أديت هو كر فى كتابه «القوانين الجنسية» :

«إنه ليس من الغريب الشاذ، حتى فى الطبقات المثقفة : أن بنات سبع، وثمانى سنين منهن يخادن لذاتهن مع الصبية، وربما تلوثن معهم بالفاحشة .

بنت فى السابعة من عمرها من بيت عريق فى الشرف والمجد، ارتكبت الفحشاء مع أخيها، وعدد من أصدقائه . ونفر آخر من خمسة أولاد يشتمل على صبيتين وثلاثة صبيان متجاورين، متقاربى البيوت، وجدوا متعلقين ببعضهم بالعلاقات الجنسية، وقد حفزوا على ذلك غيرهم من الأولاد أيضا، وكان أكبر أولئك سنا ابن عشر سنين، وبنت أخرى فى التاسعة كانت فى ظاهر الأمر تحت رقابة شديدة، وجدت سعيدة بكونها حبيبة عشاق ذوى عدد!!

«وقد جاء فى تقرير طبيب من مدينة بالتيمور : إنه رفع إلى المحاكم فى تلك المدينة أكثر من ألف مرافعة فى مدة سنة واحدة، كلها فى ارتكاب الفاحشة مع الصبايا دون الثانية عشرة من العمر» .

«يخمن القاضى لندسى الأمريكى أن (45٪) من فتيات المدارس تدنسن قبل خروجهن منها، وترتفع هذه النسبة كثيرا فى مراحل التعليم العالية، فيكتب : أن الطالب فى المدرسة ثانوية تكون عواطفه دون عواطف الطالبة شدة والتهابا،

فالصبية هى التى تتقدم أبدا، وتأمر، وما يفعل الصبى إلا أن يتبع ويأتمر»[1].

ومن المؤسف، والمؤلم، والمحزن أن كثيرا من البلدان الإسلامية بدأت تسير على هذا النهج فى اختلاط الصبيان مع البنات ... وهذا تأمر على الفساد المجتمع، وتوهين بنية الأجيال .

الأساس التهذيبى السادس : تعلم الطفل المميز فروض الغسل، وسننه :

حينما يتوقع الأبوان قرب بلوغ الصبي، والبنت على السواء، عند ذلك وجب عليهم تعليم الأطفال فرائض إسقاط الحدث الأكبر ـ الجنابة ـ وسننه، وكذلك يحدثانهم عن أسبابه، وعن طبيعة المادة التى تخرج، ولونها، أي : يقدمان لهم درسا فى فقه الغسل من كتب الفقه، ولأن يحدثهم الآباء حديثا هادئا عن هذه الأمور، خير من أن تمتد أيدى السوء لتنتشلهم، ويقدمون لهم السم الزعاف، وعمر بن الخطاب ﷺ يقول : «ينقض عرى الإسلام عروة من نشأ فى الإسلام ولم يعرف الجاهلية» .

فلا بد من أن يقدم الأب لصبيه والأم لبنتها حديثا وأحاديث عن فقه الإسلام فى هذه المادة، التى تخرج من جسم الإنسان، وماذا يفعله الإنسان فى مقابل ذلك، وما يعنى خروج هذه المادة بالنسبة للشرع؟

إنه يعنى دخول سن التكليف فى الحياة ... إنه بدء الفرائض على الإنسان، والنواهى الربانية له ... وبذلك أصبح الإنسان محاسبا على الصغيرة والكبيرة على أعماله، وأقواله، وأن الملكين رقيبا وعتيدا، بدا كل منهما مهمته فى تسجيل الحسنات والسيئات إلى غيره ذلك من مواعظ هادئة، تنبه الطفل نحو العمل الصالح، وكراهية العمل الطالح .

الأساس التهذيبى السابع : شرح مقدمة سورة النور، وتحفيظها للطفل المميز :

بعد بلوغ الطفل سن العاشرة، يفرق فى مضجعه عن أخوته، فهذا يعنى أن بعض الدلالات الجنسية بدأت بالظهور رويدا رويدا .

ففى هذه السن نبدأ بوضع الوقايات النفسية، والمناعات الإيمانية فى نفس الطفل، ليقوى بها على التحكم فى غريزته، وضبط نفسه، والحفاظ عليها من ارتكاب الفاحشة، والعياذ بالله تعالي، فكان السلف ـ رضوان الله عليهم ـ يقدمون لأطفالهم سورة النور كوقاية لهم مع الشرح والبيان، ويهتمون بتحفيظها فى سن

(١) المرأة المسلمة (ص 243) .

المراهقة قبل البلوغ وخاصة البنات .

روى مجاهد عن النبى ﷺ أنه قال : «علموا رجالكم سورة المائدة، وعلموا نسائكم سورة النور» رواه سعيد بن منصور فى سننه والبيهقى فى شعب الإيمان ورمز السيوطى لضعفه [1] .

وقد أوضح الجاحظ : «بأن المعلمين كانوا يعنون عناية خاصة بتحفيظ الفتيات سورة النور» [2] .

وكان أمير المومنين عمر بن الخطاب ﷺ يكتب فى الآفاق :

«لا تدخلن امرأة مسلمه الحمام إلا من سقم، وعلموا نساءكم سورة النور» [3].

الأساس التهذيبى الثامن : المصارحة الجنسية، والتحذير من الفاحشة :

قلنا: إن الطفل يعلم، ويحفظ سورة النور، التى تتضمن البناء الخلقي، والتهذيب الجنسى للطفل، وتحذره من الوقوع فى الفاحشة .

وبعد تعلمه فرائض الغسل، وإسقاط الجنابة، يحذر تحذيرا شديدا من الوقوع فى الفاحشة، ويشرح له وذلك حسب البلد الذى يعيش فيه الطفل، هل فى بلد متحلل مثل الغرب وأمريكا؟ أم فى بلد إسلامى محافظ؟ وعلى حسب الأسرة التى بلغ فيها ذلك الطفل، هل هى إسلامية أو إباحية، فحيثما كانت الإباحية فيجب أن يشرح للطفل المسلم البالغ ما هو الزنا، حتى يجتنبه، ويبتعد عنه، وذلك من أجل ألا يقع فى الزنا، ثم يقول : أنا لا أدرى كيف هو؟ وما حكمه؟

ويروى له حديث رسول الله ﷺ التالى :

روى أحمد والطيرانى عن أبى أمامة أن فتى من قريش أتى النبى ﷺ فقال :

يا رسول الله، ائذن لى فى الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه، فقالوا : مه .. مه..

فقال : «ادنه»، فدنا منه قريبا، فقال :

«أتحبه لأمك؟» قال : لا، والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال : «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» .

قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال :لا، والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال

---

(١) انظر : الجامع الصغير (4/ 328) .
(٢) البيان والتبين (2 / 92) .

(٣) رواه عبد الرزاق فى مصنفه (1/ 295) .

«ولا الناس يحبونه لبناتهم» .

قال : «أتحبه لأختك» قال، لا والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال : «ولا الناس يحبونه لأخواتهم» .

قال : «أتحبه لعمتك؟» قال : لا، والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال : «ولا الناس يحبونه لعماتهم» .

قال : «أتحبه لخالتك؟» قال : لا، والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال : «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» .

قال : فوضع يده عليه، وقال : «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه» . قال : فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء .

ويعرف كذلك بعقوبة الزنا، وإقامة الحد :

وفى الصحيحين عن أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى أنهما قالا فى الإعرابيين اللذين أتيا رسول الله ﷺ، فقال أحدهما : إن ابنى هذا كان عسيفا ـ يعني : أجيرا ـ على هذا، فزنى بامرأته، فافتديت ابنى منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ : «والذى نفسى بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى : الوليدة والغنم رد عليك، وعلى ابنك مئة جلدة وتغريب عام، واغد يا أنيس ـ لرجل من أسلم ـ إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» .

الأساس التهذيبى التاسع : الزواج المبكر :

مهما قيل فى الزواج المبكر من مساوى فى العصر الحاضر، فان محاسنه

تفوقه، وخاصة اذا صحبه تامين الحياة المادية، سواء من مساعدة الوالدين، او من كسب الفتى الناشئ وما امراض الامة النفسية والاجتماعية، والحوادث الجنائية الانتيجة طبيعية لتاخير الزواج، ولن نناقش هذا الامر كثيرا، فحسبنا ان نقدم من حياة السلف الصالح هذه النماذج التى قدمها الامام الراوى عبد الرزاق المتوفى سنة (211هـ) فى مصنفه، باب: نكاح الصغيرين المجلد السادس صفحة(163):

1 . عن عروة قال: نكح النبى ﷺ عائشة وهى بنت ست، واهديت اليه وهى بنت تسع، ولعبها معها، ومات عنها وهى بنت ثمانى عشرة. (1)

(1) قال المحقق حبيب الرحمن الا عظمي: وأخرجه مسلم، وفيه: «لعبتها» ورواه ابو داود فى النكاح.

2. وعن ابى جعفر قال: خطب عمر الى على ابنته فقال: انها صغيرة، فقيل لعمر: انما يريد بذلك منعها، قال: فبعث بها اليك، فان رضيت فهى امراتك، قال: فبعث بها اليه، قال:فذهب عمر، فكشف عن ساقها، فقالت: ارسل، فلولا انك امير المؤمنين لصككت عنقك.

وقد علل عمر زواجه من بنت علي، وهى صغيرة، بقوله:

عن عكرمة قال: تزوج عمر بن الخطاب ام كلثوم بنت على بن ابى طالب،

وهى جارية تلعب مع الجواري، فجاء الى اصحابه، فدعوا له بالبركة، فقال

لم اتزواج من نشاط بي، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الاسببى ونسبي» فاحببت ان يكون بينى وبين نبى الله ﷺ سبب ونسب.

3. وعن الحسن، والزهري، وقتادة، قالوا: اذا انكح الصغار اباؤهم جاز نكاحهم. قال عبد الرزاق: وبه ناخذ.

4. وعن ابن طاووس عن ابيه قال: اذا انكح الصغيرين ابوهما، فهما بالخيار اذا كبرا.

5. وعن الزهري: ان عروة بن الزبير انكح ابنه صغيرا ابنة لمصعب صغيرة.

6. وعن هشام بن عروة قال: زوج ابى ابنه صغيرا هذا ابن خمس، وهذا ابن ست، فمات فورثته اربعة الاف دينار، او نحو ذلك.

يكفى ان تعلم فنوى قيادة التابعى إذ يقول: كان بلغ الغلام فلم يزوجه أبوه فأصاب فاحشة إثم الأب. رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 333).

وقال ابن عباس ﷺ ما: من رزقه الله ولدا فليحسن اسمه وتأديبه، فاذا بلغ فليزوجه.

وقال عبد الله بن ابى حسين المكي: كانوا اذا أدرك لهم ابن عرضوا عليه النكاح، فان قبله، والااعطوه ما ينكح به، وقالوا: انت اعلم باريك. رواهما ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال(1/ 335-334).

قال الإمام الشيرازى الشافعى فى المهذب:

« ويجوز لولى الصبى ان يزوجه اذا راى ذلك، لما روى ان عمر ﷺ زوج ابنا له صغيرا، ولانه يحتاج اليه اذا زوجه الف حفظ الفرج.

وهل له ان يزوجه باكثر من امراة؟ فيوجهان: احدهما: لايجوز، لان حفظ

الفرج يحصل بامراة، والثاني:يجوز ان يزوجه باربع، لانه قد يكون له فيه حفظ.

وقال الشافعي- رحمه الله: له ان يزوجه بزوجة واثنتين وثلاث واربع، كالبالغ[1].

فزواج الصغير والصغيرة سنة السلف الصالح، حتى افرد له الفقهاء ابحاثا كما وجدت، بل يرون تعدد الزوجات للصغير، وانها من نفائس الفقه الاسلامى المحافظ على العفه والطهارة والنسب.

ان غير المسلمين يرتكبون الفاحشة صغارا وكبارا، وبنى جلدتنا عندما يسمعون احكام الشريعة يتذمرون منها، ويرفعوا اصوتهم، ولست ادرى اللعفة يدعون؟! ام جهنم ينتظرون؟!

ان الزواج هو الطهارة، وهو الفطرة، وهو المجتمع، وهو الدولة، ومتى انهار سوق الزواج، راج سوق الفاحشة، فانهار الانسان، وانهار المجتمع، وانهارت الدولة حتى لو كانت تملك السلاح النووي، واكبر المصانع، لان الذى يديرهما هو الانسان، ومتى انهار الانسان تبعه شتى انواع الانهيارات الا خري.

وان الصبية المتوفى عنها زوجها لتجلس فى عدتها، روى البحارى عن االزهرى قال: لا ارى ان تقرب الصبية المتوفى عنها: الطيب، لان عليها العدة.

وان العالم -ألان- تقض مضاجعه القنوات الفضائية الفاجرة، وصيحات المخلصين المصلحين لاتحد لها إذنا صاغية، لان تيار العنف الجنسى جازف للكبار والصغار، فما على المسلمين الغيورين على دينهم وديـن ابنائهم سوء فى التبكير فى الزواج، فلئن صلح الولد فى البيت، فان خطر الرفقاء السوء فى المدرسة والمختمع اصبح قريبا جدا، لقرب القنوات الفضائية الفاجرة من اولئك الفسقة الفجرة، لذا فان عودة المسلمين الى سنة السلف الصالح فى تبكير سن الزواج لهو الجير والبركة، خير لان فيه عصمة من انحراف الولد صبيا اوبنتا نجو الرذيلة والخنا،

وبركة لان فيه انجاب الذرية المسلمة المباركة، وتكثير عدد المسلمين الصالحين

فإلى الغيورين والمصلحين والمفكرين اقدم هذا الراى والله الموفق وهو الهادى للصواب.

سؤال فقهي: ماهو سن زواج الصغيرة؟

قال مالك والشافعى وابو حنيفة: حد ذلك ان تطيق الجماع، ويختلف ذلك

(١) انظر: المهذب، تحقيق د. محمد الزحليى 4/ 134 مع حاشيته، ورجع القول الثاني.

باختلافهن، ولا يضبط بسن، وهذا هو الصحيح، وليس فى حديث عائشة تحديد، ولا المنع من ذلك فى سن اطاقته قبل تسع، ولا الاذن فيه لمن لم تطقه وقد بلغت تسعا[1].

خاتمة: علامات البلوغ:

هناك علامتان لدخول الطفل سن البلوغ والتكليف ، وهما الاحتلام، او ظهور شعر العانة تحت السرة .

1 – **لاحتلام:**

فقد نصت الاية: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[النور: 24/ 59].

وروى ابو دواد عن علي– كرم الله وجهه–قال: حفظت عن رسول الله ﷺ :

« لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم الى الليل».

2 – **ظهور شعر العانة:**

عن عطية قال: «عرضنا على النبى ﷺ يوم قريظة، فكان من انبتت عانته قتل، ومن لم ينبت خلى سبيله، فكنت ممن لم ينبت فخلى سبيلي». رواه الخمسة، وصححه الترمذي.

وفى لفظ: «فمن كان محتلما او انبتت عانته قتل ومن لا ترك»رواه احمد والنسائي[2].

وعن سهرة بن جندب ان النبى ﷺ قال: «اقتلوا شيوخ المشركين، واستحيوا شرخهم». والشرخ: الغلمان الذين لم ينبتوا. رواه الترمذي، وصححه.

3– **الصبى اذا بلغ خمس عشرة اقيمت عليه الحدود:**

رواه البيه قى فى «الخلافيان» عن انس.

(١) انظر: بذل المجهود فى حل ابى داود (10/ 145) طبع دار الكتب العلمية– بيروت.
(٢) ورآه الحاكم فى مستدركه(4/ 390) بلفظ: «كتب غلاما يوما حكم سعد بن معاذ فى بنى قرية ان تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذررتهم، فشكوا فى فلم يجدونى انبت الشعر، فهما انا ذا بين أظهركم».

الفصل الخامس

بناء سلوك الطفل الإسلامي

المبحث الأول : البناء الأخلاقى للطفل

المبحث الثانى : البناء الجسمى للطفل

المبحث الثالث : البناء الاجتماعى للطفل

تمهيد :

يتشكل سلوك الانسان حسب مفاهيمه التى يحملها، وهذه المفاهيم تتشكل حسب عقلية الانسان ونفسيته، فاذا اتحدت القاعدة التى شكلت العقلية والنفسية أنتجا سلوكا مطابقا لهما. وبالتالى جاء سلوكه متزنا مع أفكاره ومشاعره.

فاذا أردنا تصحيح سلوك الطفل دائما، فلا بد من تصحيح عقليته ونفسيته كما سبق بياته. واذا لم يتم تصحيح ذلك، فانه عند ذلك يستجيب استجابة بغائية، سرعان ما تزول، لأنه لم يتم تصحيح عقليته ونفسيته، أى لم يصحح مفهومه عن السلوك الخاطب والسلوك الصحيح، لان تعميق بناء العقيدة والتحافكم اليها فى كل شيء، سواء الأفكار او الميول، ينتج عنه غالبا سلوك صحيح، منسجم مع فطرته وعقليته ونفسيته.

وسلوك الطفل الإسلامى يرتكز على ثلاثة أمور:

الأول : بناء الأخلاق ليتم سلوكه الأخلاقي.

الثانى : بناء جسمه ليتم اكتساب الثقة فى الحركة الاجتماعية

الثالث : البناء الاجتماعي، ليكتسب الطفل سلوكا اجتماعيا سليما صحيحا فى الأسرة والمدرسة والمجتمع.

وكل من الأمور الثلاثة مركب تسلسلي، أي: بمعنى ان الطفل تربى اخلاقه وجسمه حتى ينتج عنه سلوك اجتماعى صحيح، فالطفل غير الأخلاقى سينتج عنه سلوك اجتماعى خاط، كما ان الطفل صاحب الجسم الهزيل او المريض، لن يكتسب الثقة للتفاعل الاجتماعي.

المبحث الأول

البناء الأخلاقى للطفل

تمهيد :

- **الأساس الأول**: خلق الأدب
- **الأساس الثاني**:خلق الصدق.
- **الأساس الثالث**: خلق كتم الأسرار.
- **الأساس الرابع**:خلق الأمانة.
- **الأساس الخامس**:خلق سلامة الصدر من الأحقاد.
- **الأساس السادس**:خلق حسن الوفاء بالعهد.

خاتمة : مثال عملى من خلق الرسول ﷺ مع الأطفال.

- ((من أحسن أدب ولده أرغم أنف عدوه))(١)

((كاد الادب يكون ثلثى الدين))

الأمام عبد الله بن المبارك(٢)

((من استهان بأدب من آداب الاسلام عوقب بحرمان السنة، ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة، ومن استهان بالفرائض قيض الله له مبتدعا يوقع عنده باطلا، فيوقع فى قلبه شبهة))

ابو على الزقاق رحمة الله(٣)

---

(١) نصيحة الملوك (ص172).

(٢) مقدمة كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك تحقيق الشيخ حبيب الرحمن العظمي- رحمه الله.

(٣)انظر: معيد النعم ومبيد النقم للإمام ألسبكى - رحمه الله- (ص69).

●الأساس الأول: خلق الادب:

- مادو رد فى غرس الادب فى الاطفال.
- نماذج من حياة السلف الصالح.
- أنواع الآداب النبوية للأطفال.

1-الادب مع الوالدين.

-أدب خطاب الوالدين وندائهما.

-أدب النظر الى الوالدين.

2- الادب مع العلماء.

- متورد فى الادب مع العلماء.

- نماذج من أدب أطفال السلف الصالح مع العلماء.

3- أدب الاحترام والتوقير.

4- أدب الأخوة.

5- أدب الجار.

6-أدب لاستئذان.

7- أدب الطعام.

8- أدب مظهر الطفل (أدب الشعر والحلاقة - ادن اللباس)

9- أدب استماع القران.

البناء الأخلاقى للطفل

تمهيد :

الخلق بضم اللام وسكونها: السجية والطبع، كذا فى الصحاح، وذكر القرط بى فى تفسيره: الخلق فى اللغة: هو ما اخذ الانسان به نفسه من الأدب، لأنه يصير كالخليقة فيه، فأما ما طبع عليه من الأدب فهو الختم، وهو بالكسر: السجية، والطبيعة، لا واحد له من لفظه، فيكون الخلق: الطبع المتكلف، والختم: الطبع الغريزى [1] .

وبناء على تعريف القطبى للخلق، فان الطفل يحتاج لهذا البناء الأخلاقي، وذلك لتكون حركة الطفل الاجتماعية- السابق ذكرها فى الباب الثالث- سليمة، وهذا الجهد لابد منه، لان عملية الانتقال من الطبع المتكلف، الى الطبع الغريزى صعبة، وزمنها يمتد حتى عمر الانسان، وهو يقوم اخلاقه، وبالتالى فان جهد الوالدين والمربين يكون لازما فى هذه المرحلة التطفلية، التى ذكرنا انها تتميز بالفطرية، والصفاء، وسرعة التلقي، والاستجابة.

وقد أشار الى هذا المعنى كبار العلماء، منهم ابو حامد الغزالى كما تقدم ذكره فى بداية الكتاب، ومنهم ابن القيم فى كتابه- أحكام المولد- حيث قال:

«ومما يحتاج اليه الطفل، اشد الاحتياج، الاعتناء بأمر خلقه، فانه ينشا على ما عوده المربى فى صغره: من جرد[2] غضب، ولحاج، وعجلة، وخفة مع هواه، وطيش، وحدة، صفات، وهيئات، راسخة له، فان لم يتحرز منها، غاية التحرر، فضحته لابد يوما ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التى نشا عليها».

وقد حض العلامة الشيخ محمد الخضر حسين - شيخ الأزهر سابقا- رحمة الله على اهمية استغلال فترة الطفولة فى غرس الأدب، والخلق الحسن، فقال:

«ان الصبى يولد على الفطرة الخالصة، والطبع البسيط، فاذا قوبلت نفسه الساذجة، بخلق من الأخلاق، نقشت صورته فى لوحها، ثم لم تزل تلك الصورة، تمتد شيئا فشيئا الى ان تأخذ بجميع إطراف النفس، وتصير كيفية راسخة فيها، حائلة لها عن الانفعال بضدها، يؤيد هذا انا اذا رأينا فى الغرباء من هو لطيف الخطاب،

(١)عن : فتح الغفار بشرح المنار لابن نجين الحنفي، وهو كتاب أصول فقه فى المذهب الحنفي(1/ 7).

(2) الحر: لاعتزل والتنحي، يقال: جرد يجرد حدودا: اذا غضب، فهو: حار، وحدود، وحران.

جميل اللقاء، مهذب الألمعية، لنرتاب فى دعوى، انه ممن أنبته الله فى البيوت الفاضلة، نباتا حسنا»[1].

وبقى السؤال: ما هى عناصر البناء الأخلاقى للأطفال؟ وما هى أركان هذا البناء الشامخ؟ من خلال التصفح فى الأحاديث النبوية، وتصنيفها، نجد انها ترتكز على خمسة أركان نأتى عليها بالتفصيل.

الأساس الخلقى الأول: خلق الأدب:

قال الحافظ ابن حجر: والأدب: استعمال ما يحمد قولا وفعلا، وعبر عنه: بأخذ مكارم الأخلاق، وقيل: الوقوف مع المستحسنات، وقيل: هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك، وقيل: انه مأخوذ من المأدبة، وهى الدعوة الى الطعام، سمى بذلك لأنه يدعى اليه[2].

وقد سئل الجني- رحمه الله تعالي- عن الأدب[3] فقال: «انه حسن العشرة». لذا تبرز اهمية الأدب فى المعاملة والعشرة حتى انه المظهر الخارجى الذى يعبر عن الصغير والكبير، لذلك حمل الطفل عليه، وقصره على ارتداء ثوب الأدب، كان من اولويات التربية الخلقية.

وكما قال الشاعر صالح بن عبد القدوس:[4]

وان من أدبته فى زمن الصبا	كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا	بعد الذى أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك اخلاقه	حتى يوارى فى ثرى رمسه
اذا أرعوي، عاد الى جهله	كذا الضما عاد الى نكسه

1- ما ورد فى غرس الأدب فى الاطفال:

تتجلى اهمية الأدب وغرسه، ونحله للطفل، أكثر فأكثر، عندما نرى ان الرسول ﷺ أعطاه اهمية عظمي، فى البناء الأخلاقي، حتى جعل غرسه فى الطفل، وتعويده عليه، ليصبح طبيعة من طبائعه الخلقية، وسجية من سجايا الطبيعية، افضل من عملية الصدقة التى تطفئ الخطيئة، مع ما فى الصدقة من اهمية فى الاسلام. روى

(١) فى كتابه: السعادة العظمي(ص 60).
(٢)فتح البارى (13/ 3).
(٣)عن: تنبيه المغير للإمام الشعرانى (ص41).
(٤)عن: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر(1/ 86).

الترمذى عن جابر بن ثمرة ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ « لان يؤدب الرجل ولده، خير من ان يتصدق بصاع» [1] .

وان رسول الله ﷺ يبين للولـدين ان اظـم هديـة للطفـل هـى الأدب، وأفضـل توريث له هو الأدب الحسن:

ذروى الترمذى عن سعيد بن العاص– رحمه الله– ان رسول الله ﷺ قـال: « مـا نحل والدا من نحل، افضل من أدب حسن» [2]، لذلك كان على المديني– رحمة الله– يقول: « توريث الاولاد الأدب، خير لهم من توريث المـال، الأدب يكسـبهم المـال، والجاه، والمحبة للإخوان، ويجمع لهم بين خيرى الدنيا والآخرة» [3] .

ولعل البعض يغفل عـن اهميـة الأدب، ويعـده مـن الأمـور البسـيطة، يمكـن التساهل فيها، او يجوز تناسيها، وما يدرى هذا انه يهيئ ولدة للعقوق، وما علم هذا المسكين ان غرس الأدب حق الولد على أبيه، كواجب حق الطعام والشراب:

روى ابن ماجه عن ابـن عبـاس– ﷺ مـا– عـن النبـى ﷺ انـه قـال: « أكرمـوا اولادكم، وأحسنوا أدبهم». وفى رواية ابن ابى الـدنيا: «أحبـوا اولادكـم، وأكرمـوا أدبهم». وفى سنده ضعف، كذا قال د. نجم محقق كتاب (العيال).

ووعى السلف الصالح اهمية الأدب، ومقداره، وسمو رفعته، فأيقظوا أطفـالهم عليه، وشبوا على ذلك، ونصحوا الأمة به، فهذا الصحابى الجليل عبد الله بن عمر– ﷺ ما[4]– يوجه نداءه للوالدين، بخطاب رقيق، يضع لهم معادلة رياضية، ومسـاواة حسابية، فيقول:«أدب ابنك فانك مسئول عنـه، مـاذا أدبتـه؟ ومـاذا علمتـه؟ وهـو مسئول عن برك، وطواغيته لك».

اما لماذا كان هذا الاهتمام الكبير بالأدب، وان يصـبح سـجية طبيعيـة فى نفـس

(١)ضعيف انظر: ضعيف الجامع رقم(4645) والأحاديث الضعيفة(1887) للألباني. وهو عند الترمذى برقم (1952) فى البر والصلة، وقال: هذا حديث غريب، وناصح بن علاء الكوفى احد رواته ليس عند أهل الحديث بالقوي، ولا يعرف هـذا الحـديث الا هذا الوجه. انظر جامعا الأصول (1/ 416)ت. الارناؤوط.

(٢)فى سنده مجهول وضعيف، وصححه الحـاكم، ورده الـذهبى عليـه بقولـه:بل مرسـل ضعيف، وقال الترمذي: غريب مرسل، أي: لان عمرو بن سعيد بن العاص لم يدرك النبى ﷺ فهو تابعي. انظر جامعا الأصـول (1/ 416)ت. الارنـاؤوط ورواه الإمـام احمد بسند حسن فى مسند المكيين والمدنيين. وفي مسند البصريين: «بنصف صاع».

(٣) عن: تنبيه المغيرين للإمام الشعراني(ص41).

(٤)عن: أحكام المولود (ص225).

الطفل فلأنه:

« **يكتسب من الأدب الصالح** العقل النافذ، ومن العقل النافذ حسن العادة، ومن حسن العادة الطباع المحمودة، ومن الطباع المحمودة العمل الصالح، ومن العمل الصالح رضا الرب، ومن رضا الرب الملك الدائم. ويكتسب من الأدب السوء فساد العقل سوء العادة، ومن العادة السيئة رداءة الطبع، ومن الطباع الرديئة سوء العمل، ومن العمل السيئ سوء ألقالق وغضب الله، ومن غضب الله وسخطه الذل الدائم» [1] .

وهكذا سار السلف الصالح يوجهون أطفالهم الى اهمية الأدب، ويورثونه لهم، فإلى حياة هؤلاء، هلم سويا، نصغى ونستمع ونتعلم.

ولكى نتعرف الى اهمية خلق الأدب، ان نرى صورة قلة الأدب وخطورتها، وأنها السبيل احيانا للمروق من الدين والخروج عنه، وان الاستهانة بخلق الأدب يؤدى الى المهالك فى الدنيا قبل الآخرة، وخاصة عندما تكون قلة الأدب مع الله او رسوله، فأنة تكون الفتنة والضلالة وقد يكون الكفر بعينه، فلننظر ولنعتبر ولنتأدب:

رأى مسلم[2] وابو داود واللفظ له عن ابى سعيد ألخدري- ﷺ - قال: قسم رسول الله ﷺ قسما، قال: فاقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية، مملوك، فقال: اتق الله يا محمدا قال: فلما ولى عنه، قال النبي: «ان من ضئضئ هذا وفى عقب هكذا، قوم يقرؤون القران لا يتجاوز حناجرهم، يمرقون من الاسلام مروق السهم من الذمية» .

.قال الإمام الخطابى فى شرحه « معالم السنن» (4/ 307).

« الضئضئ: الأصل، يريد انه يخرج من نسله الذى هو أصلهم، او يخرج من أصحابه وإتباعه، الذين يقتدون به، ويبنون رأيهم، ومذهبهم، على اصل قوله».

لقد قال ذلك الأحمق كلثته على سبيل التكبير والانتقاص من رسول الله، وعلى سبيل الاستعلاء على رسول الله، واتهمه بالخطاب فى القسمة وعدم العدل، وهو فى هيئة منفرة ومنظر قبيح يدل على عدم الاحترام والتوفير لمجلس رسول الله، فنال جزاءه بما يساوى من استكباره.

---

(١)نصيحة الملوك للما وردي(ص173).

(2)انظر روايات الحديث: شرح صحيح مسلم للنووى باب: إعطاء المؤلفة.(7/ 161)

والويل كل الويل للأصوات التى تخرج بين الفينة وال اخرى منجحة واعلى صوتها وتقول: ان رسول الله ﷺ أخطا فى كذا وكذا، فهذا الرجل قال للرسول ﷺ اقل من ذلك، وكانت عاقبة امره خسرا.

وصدق ابو على الزقاق- رحمه الله- عندما قال: «من استهان بأدب من آداب الاسلام عوقب بحرمان السنة، ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة، ومن استهان بالفرائض، قيض الله له مبتدعا، يوقع عنده باطلا، فيوقع فى قلبه شبهة».

وأما قلقة أدب أهل أخر الزمان والتى بدأت تظهر بشكل أكثر عند من لا خلاق لهم، فقد حددهم الحديث النبوى الأتي:

روى مسلم عن علي-رضي الله عنه وكرم وجهه- قال: اذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلان أخر من السماء أحب الى من ان أقول عليه ماله يقل، واذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فان الحرب خدعة[1]، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« سيخرج فى أخر الزمان قوم، إحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرؤون القران ليجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فاذا لقيتموهم فاقتلوهم، فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة».

قوله: (إحداث الأسنان سفهاء الأحلام): معناه: صغار الأسنان صغار العقول. (يقولون من خير قول البرية) معناه فى ظاهر الامر كقولهم: لا حكم الا الله، ونظائره من دعائهم الى كتاب الله تعالى والله اعلم، (فاذا لقيتموهم فاقتلوهم، فان فى قتلهم أجرا) هذا تصريح بوجوب قتال الخوارج والبغاة، وهو إجماع العلماء[2] .

ولنا وقفة مع (قوم إحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون: من خير قول البرية، يقرؤون القران لا يجاوز حناجرهم.

فهم قوم وليسوا أفرادا، وهم إحداث الأسنان: صغار فى العمر وليسوا كبارا، سفهاء الأحلام: صغيرى العقل، وخفيفى العقل، يقرؤون القران ليجاوز حناجرهم: أى لا يتفاعلون مع القران تطبيقا وعملا، وانما يعتمدون على الرياء فى تلاوة القران.

الحديث صحيح وهو من نبوءات ومعجزات سيدنا محمد، ولكن كيف

(١) بفتح الخاء وإسكان الدال هو الأفصح، ويقال: بضم الخاء ويقال:بضم الخاء وفتح الدال ثلاث لغات مشهورات، قاله النووى فى شرح صحيح مسلم(7/ 166).
(٢) المصدر السابق.

وصلوا الى هذا الانحراف؟ وما هى أسبابه؟.

فى تقديري- والله اعلم- ان السبب الرئيسى عدم أخذهم العلم عن أهله، والقران عن القراء، مما حدا بهم ان يفهموا النصوص حسب أهوائهم، بلا ضابط فهم. وبالتالى أدى بهم الى الاستخفاف النصوص والاستكبار على العلماء، مما أدى الى قلة أدبهم معهم، وخروجهم عن فهم العلماء الراسخين، والفقهاء العاملين، فادى بهم الى هذا المنزلق الخطير، بان خرجوا من الدين بسرعة كالسهم الذى من شدة سرعته يخرق مكان الهدف المرمى نحوه.

لذا الحذر من الاستخفاف بفهم العلماء والتابعين والصحابة للنصوص القرآنية والنبوية، لان عاقبة ذلك خسرا .

والأدب الأدب غانة الزينة التى يتحلى المرء بها فى كل ألاماكن، ذكرا كان او أنثي، كبيرا كان ام صغيرا، وجيها كان ام وضيعا.

2- نماذج من حياة السلف الصالح فى توريث الأدب لأولادهم:

قال رو يم بن احمد البغدادى لابنه: «يابني، اجعل عملك ملجما، وأدبك دقيقا، أي: استكثر من الأدب، حتى تكون نسبته فى سلوكك، من حيث الكثرة كنسبة الدقيق الى الملح، الذى يوضع فيه، وكثير من الأدب مع قليل من العمل الصالح، خير من كثير من العمل مع قلة الأدب». ذكره الإمام القوافى فى كتابه الفروق (3/ 96)[1] .

قال إبراهيم بن الحبيب بن الشهيد قال لى ابي: ائت الفقهاء، والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم، وأخلاقهم، وهديهم، فان ذاك أحب الى من كثير من الحديث[2]. وذلك حتى يتعلم الابن الأدب مع الحديث، قبل ان يتعلم الحديث بلا أدب، فيؤدى به الى عدم التأدب مع حديث الرسول ﷺ مما يورث فى قلبه الضلال.

قال بعض السلف لابنه: « يابني، لان تتعلم بابا من الأدب، أحب الى من ان تتعلم سبعين بابا من أبواب العلم »، وقال ابو زكريا العنبري[3]: «علم بلا أدب كنار بر حطب، وأدب بلا علم، كروح بلا جسم».

---

(١)عن:رسالة المسترشدين للمحاسبي، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح ابى غدة(ص31) (ط2).

(٢)الجامع لأخلاق الراوى وأدب السامع للخطيب البغدادي(1/ 17).

(٣) عن: أدب الإملاء والاستملاء للإمام لسمعاني، وكتاب الجامع للخطيب البغدادي(1/ 17).

وروى ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 486) عن محمد بن عمران الضبى قال: سمعت ابى يحكى قال: مر سفيان الثورى بزياد بن كثير، وهو يصف الصبيان للصلاة، ويقول: استووا، اعتدلوا، سووا مناكبكم وأقدامكم، اتكئ على رجلك أليسري، وانصب اليمني، وضع يدك على ركبتيك، ولا تسلم حتى يسلم الإمام من كلا الجانبين.

فقام سيفان ينظر، ثم قال: بلغنى ان الأدب يطفئ غضب الرب[1].

تلك كانت وصايا السلف الصالح فى توجيه أبنائهم نحو التحلى بخلق الأدب لأنه مفتاح كل شأ: مفتاح للعلم، ومفتاح للخلق الإسلامي، ومفتاح العبادة، ومفتاح العقيدة، ومفتاح السلوك، ومفتاح الحياة، لذلك كانت عناية رسول الله ﷺ به كبيرة، واهتمام صحابته والتابعين والعلماء العاملين الى يوم الدين.

ولكن ما هى أهم الصفات الأدبية التى خصها رسول الله ﷺ فى توجيه الاطفال نحوها، وغرسها فيهم، ونحلهم لياها؟ من خلال الاستقراء فى الأحاديث الشريفة، تم الحصول على تسعة آداب وهي:

3 – أنواع الآداب النبوية للأطفال[2]:

1 – الأدب الأول : مع الوالدين:

أورد النووي– رحمه الله– فى الأذكار، باب: نهى الولد والمتعلم والتلميذ ان ينادى أباه ومعلمه وشيخه باسمه:

رؤيتنا فى كتاب ابن السنى عن ابى هريرة–رضي الله عنه – ان النبى ﷺ رأى رجلا معه غلام، فقال للغلام: «من هذا؟» قال: ابي، قال: «فلا تمش امامه، ولاتستسب له» أي: لانفعل فعلا يتعرض فيه لان يسبك أبوك زاجرا لك، وتأديبا على فعلك القبيح– وهذا شرح النووى – ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه.

وفى مجمع الزائد (8/ 136) أورد ابن حجر الهيثم قصة مشابهة لهذا الحديث، لكنها موقوفة على ابى هريرة، فيها فوائد طيبة نذكرها للفائدة:

فعن ابى غسان الضبى قال: خرجت امشى مع ابي، بظهر الحرة، فلقينى ابو هريرة–رضي الله عنه – فقال: من هذا؟ قلت: ابي، قال: لأتمش بين يدى أبيك، ولكن امش

(١) وانظر: حلية الأولياء (7/ 79).

(٢) يذكر الإمام النووي– رحمه الله– فى كتابه– رياض الصالحين– فصلا خاصا سماه: كتاب الادب، فيذكر آدابا كثيرة بحاجة اليها الفرد المسلم، ونظرا لكون بحثنا عن الاطفال وتوجيهات الرسول ﷺ لهم، اقتصرت على ما ورد بشأنهم، ليكون هو الأساس فى هذه المرحلة.

خلفه، او الى جانبه، ولا تدع أحدا يحول بينك وبيه، ولا تمش فوق اجأر- أي: سطح- أبيك تخفه، ولا تأكل عرقا- بسكون الراء: العظم اذا اخذ عنه معظم اللحم- قد نظر أبوك اليه لعله قد اشتهاه.

أ- أدب خطاب الوالدين:

أورد القرط بى فى تعسيره: قال ابو البدا لتجيبى : قلت لسعيد بن المسي: كل ما فى القران من بر الوالدين قد عرفته، الا قوله: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ (الإسراء:17/ 23) ما هذا القول الكريم.؟ قال ابن المسبب: قول العبد المذنب، للسيد الفظ، الغليظ[1]. وقد فسر عمر بن الخطاب القول الكريم، فقال: هو ان يقول له: ياابتاه، ياماه[2].

وقال تاج الدين ألسبكي: كنت جالسا بدهليز درأنا فاقبل كلب، فقلت: أخسا، كلب بن كلب، فزجرنى الوالد من داخل البيت، فقلت: أليس هو كلب ابن كلب؟ قال: شرط الجواز، عدم التحقير، فقلت: هذه فائدة [3].

فليكن شعار الأبناء عندما يتعلمون شيئا من الوالدين، او يستفيدون منهم، ان يقولوا- هذه فائدة- لإدخال المسرة الى قلوبهم، وتعويد النفس على التواضع، وفقنى الله وإياك لذلك.

ب-أدب النظر الى الوالدين:

روى ألطيرانى ايضا عن ابن عباس- ﷺ ما- قال: قال رسول الله ﷺ: « اذا نظر الوالد الى ولده فسره، كان للولد عتق نسمة» قيل: يارسول الله، وان نظر ثلاثمائة وستين نظرة؟ قال: «الله اكبر» [4].

وأورد المناوب فى (فيض القدير) عن ابن عباس- ﷺ ما- قال « ما منت لرجل ينظر الى وجه والديه نظر رحمة، الكتب الله له بها حجة، مقبولة مبرورة ».

وأخيرا: نوجه هذا النداء لأحد العلماء الصالحين، وهو يضع طريقة واضحة، لإكساب الطفل معانى الادب، وهو سلوك الوالدين الأدبى معه:

---

(١)تفسير القطبى (10/ 343)(ط3) وتفسير الرازي(20/ 190).
(٢)تفسير الرازي(20/ 190).
(٣)عن: رسالة المسترشدين (ص125) (ط2) تحقيق الشيخ عبد الفتاح ابى غدة- رحمه الله تعالي. انظر التحقيق .
(٤)إسناده حسن، قاله الهيثم(8/ 156).

فقد روى البخارى فى الادب المفرد[1] عن الوليد بن نمير انه سمع أباه يقول : «كانوا يقولون: الصلاح من الله، والأدب من الإباء».

ولكى يزداد الطفل ورفعة، فانه سبق ان ذكرنا نصيحة الإباء فى توصية أطفالهم، بالتزام العلماء الصالحين، واكتساب الادب منهم، قبل تلقى العلم عنهم، فحطى تتم الفائدة بشكل جيد، يحتاج الطفل ان يتعلم الادب مع العلماء.

2-**الادب الثاني: مع العلماء:**

ذكرنا استنتاج الإمام النووي- رحمه الله- للحديث الذى رواه ابن السني، حيث عنون له فى كتاب الأذكار: «باب نهى الولد والمتعلم والتلميذ ان ينادى أباه ومعلمه وشيخه باسمه» فقال: «وان مما ذكرناه عن الادب مع الوالدين، يماثله الادب مع العلماء، بل ويزيد، لان العلماء ورثة الأنبياء، فاحترامهم، وتوقيرهم ، وخفض الجناح لهم ، والمسارعة فى خدمتهم، وعدم رفع الصوت فى مجالسهم، واللطف فى معاشرتهم، ولين الجانب لهم، كل ذلك يحتاج لان بتعوده الطفل».

وأورد الإمام الغزالي[2]- رحمة الله تعالي- قول يحيى بن معاذ فى فضل العلماء: «العلماء ارحم بأمة محمد ﷺ من إبائهم وأمهاتهم، قيل: وكيف ذلك؟ قال : لان إبائهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا، وهم يحفظونهم من نار الآخرة».

وهكذا تجد اهمية الادب فى حضرة العلماء وتوقيرهم، وقد الفت كتب بهذا الشأن، منها- أدب الإملاء والاستملاء- للإمام المعاني، ومنها: أدب العالم والمتعلم لابن كتيبة، وغيراهما كثير.

أ- ما ورد فى الادب مع العلماء:

روى الطبرانى عن ابى إمامة- ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: «ان لقمان قال لابنه: يابني، عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فان الله يحيى القلب الميت، بنور الحكمة، كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر. وروى الإمام احمد والطبرانى عن عبادة بن الصدامات ان رسول الله ﷺ أل: «ليس من أمتى من لم يجل كنيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه».

وروى الطبرانى عن ابى إمامة عن رسول الله ﷺ قال «ثلاثة لا يستخف بهم الا منافق: ذو الشيبة فى الاسلام، وذو العلم، وأمام مقسط».

---

(١) (1/ 731).

(٢) الأحياء (1/ 11).

ومن الادب مع العلماء تقبيل أيديهم وخدمتهم:

فعن جميلة ام انس بن مالك- ﷺ ما- قالت: كان ثابت «أى ثابت ألبنانى التلميذ المقرب لأنس» اذا أتى إنسا، قال «أى انس»: يا جارية، هات لى طيبا امسح يدي، فان ثابتا لا يرضى حتى يقبل يدي. رواه ابو يعلي، ورجاله موثوق ون، قاله السم هودى فى جواهر العقدين[1] .

واخرج ابن عساكر عن عمار بن ابى عمار ان زيد بن ثابت ركب يوما فاخذ ابن عباس-ﷺ ما- بركابه، فقال: تنج بابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس: هكذا امرنا ان نفعل بعلمائنا وكبرائنا فقال زيد: ارنى بك، فاخرج يده، فقبلها، وقال: هكذا امرنا ان نفعل بال بيت نبينا ﷺ[2] .

أورده كنز العمال فى مناقب زيد بهذا اللفظ، وأورد لفظا أخر :

عن ابن النجار اخرج عن ابن عباس- ﷺ ما- انه اخذ بركاب زيد ابن ثابت، ثم قال: انا امرنا ان نأخذ بركاب معلمينا، وذوى أسناننا.

قال الشيخ عبد الحى الكتاني- رحمه الله- فى كتابه (الترتيب الإدارية) (2/ 437)معلقا:

قال شيخ بعض شيوخنا محدث الحجاز ومسنده الشيخ محمد عابد ألسندى فى رسالته فى تقبيل اليد: قول زيد هكذا امرنا ان نفعل بأهل بيت نبينا، يؤخذ منه ان تقبيل يد ذى الشرف مأمور به من النبى ﷺ، لان قول الصحابي: «امرنا» له حكم الرقع، اذليس له امر غير النبى ﷺ، كما حققه: ابن الصلاح، والحافظ ابن حجر، وكلما كان مأمورا به من النبى ﷺ اذا لم يفعله كان إثما، فكل من لم يقبل يد ذى الشرف كان إثما، مخالفا لأمر النبى ﷺ، قال تعالي:﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: 24/ 63)، فاذا كانت هذه الحالة لمن لم يقبل، فما ظنك بمن أنكر التقبيل رأسا كان أثمه اكبر، وزره أوفر.اهـ.

---

(١)انظر: الترتيب الإدارية(2/ 436).

(٢)وروى ابو داود: قال زارع- وكان فى وفد عبد القيس: ((فجعلنا تتبادر بين رواحلنا، فتقبل يد رسول الله ﷺ ورجله)). وعن تميم بن سامة قال: لما قدم عمر- رضى الله عنه- الشام استقبله ابو عبيدة بن الجراح، فاخذ بيده فقبلها، قال تميم: كانوا يرون انها سنة)) انظر شرح السنة للغوى 6/ 355-356فهذه هى السنة لمن يجب التزامها. اللهم وفقنا لذلك.

ثم قال الكتاني: «وقد افرد الحافظ ابو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرى جزءا فى تقبيل اليد، وما ورد فيه، ولى رسالة فرادتها فيمن قبل يد النبى ﷺ، وللشيخ محمد عابد ألسندى الأنصارى فى الباب رسالة نفيسة وهى عندي». انتهى كلام الكتاني.

وقد سمعت كلاما مزعجا فبتعليم الطفل تقبيل يد الوالدين والأعمام والعمات والجد والجدات والأقرباء والعلماء، مفاده: انه تعليم الذل والهوان للطفل فى تعويده ذلك التقبيل.

أقول وبالله التوفيق: ان من يعرف اهمية الادب يعرف قيمة وأهمية التقبيل، لأومن لا يعرف فان الشيطان ينفخ نفثه فيه، فيستكبر عند ذلك، ويرى نفسه فوق ذلك، واذا كان أدب التقبيل لليد يكسب الطفل التواضع فقط فذلك من افضل الأخلاق الإسلامية، فما بالك وهو يكسبه رحمة وعطف الكبير، ودعاءه له بالخير والبركات، ويؤلف بين القلوب المتنافرة فكيف بالقلوب المحبة، كما يتعرف الصغير لمكانته انه صغير، فلا يتعرض فى مجالس الكبار بكلمات مزعجة، او بعيدة عن الادب.

وعن نافع قال: خدمت ابن عمر ﷺ ما- ثلاثين سنة، فأعطى ابن عمر فى ثلاثين ألفا، فقال: إنى أخاف ان تفتنى الدراهم، فاعتقني[1].

ويسرى حال الخدمة من نافع الى أحفاده وأسباطه سلوكا وعملا وأدبا:

روى ابن ابى شبة فى مصنفة (9/ 105) عن عناية بن رفاعة قال: وضأت ابن عمر ﷺ ما- فقمت عن يمينه افرغ عليه الماء، فلما فرغ صعد فى بصره، فقال: من أين أخذت هذا الادب؟! فقلت: من جدى نافع، قال: هنالك الرجل.

ب - نماذج من أدب أطفال السلف الصالح مع العلماء:

كان سعيد بن المسبب يركع ركعتين ثم يجلس، فيجتمع اليه ابناء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فلا يجترئ احد منهم انيساله شيئا، الا ان يبتدئهم بحديث، او يجيئه سائل فيستمعون [2]. وقد تقدم حديث ابن عمر وسكوته فى مجلس رسول الله ﷺ عندما وجه الرسول ﷺ سؤالا، فلم يجب، لحضور ابى بكر وعمر ﷺ م.

وهذا نموذج لحير الأمة ابن عباس- ﷺ ما- كيف كان أدبه فى طفولته، عندما طلب العلم من الصحابة: روى ابن كثير عن البيه قى بسنده الى عكرمة، قال: قال

(١) التعليق الممجد على موطا محمد للكنغوي- رحمه الله (1/ 239).
(٢)أدب الإملاء والاستملاء (ص36).

ابن عباس: لما قبض رسول الله ﷺ [1] قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسال أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير، فقال: يتعجبا لك بابن عباس! أترى الناس يفتقرون أليك، وفى الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فترك ذاك، وأقبلت انا اسأل أصحاب رسول الله، فان كان ليبلغنى الحديث عن الرجل، فأتى بابه، وهو قائل[2]، فأتوسد ردائى على بابه، يصفى الريح على من التراب، فيخرج فيراني، فيقول: بابن عم رسول اللهأ ما جاء بك؟ هلا أرسلت الى فأتيك، فأقول: لا، انا أحق ان أتيك، قال: فأساله عن الحديث، قال: فعاش هذا الرجل الأنصاري، حتى راني، وقد اجتمع حولى الناس يسألونني، فيقول: هذا الفتى كان اعقل مني» [3].

وهذا الحسن البصرى ﷺ يوجه ابنه لأدب مجالس العلماء، فيقول: «يابني، اذا جالست العلماء، فكن على ان تسمع احرص منك على ان تقول، وتعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على احد حديثا، وان طال حتى يمسك».

وفى ختام المطاف نورد أدب الطفل الصحابى ثمرة بن جندب فبحضرة رسول الله ﷺ ودأبه فى مجلسه: اخرج البخارى ومسلم عن ابى سعيد ثمرة بن جندب-ﷺ - قال: « لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاما، فكنت احفظ عنه، فما يمنعنى من الأول، الا ان ها هنا رجالا، هم أسن منى».

«ومن التطبيقات العلمية على توريث الطفل العلم مع الادب، وتأدب الطفل مع أستاذه، ما ذكر فى طبقات الأدباء[4]ان ألكسائى كان يؤدب الرشيد، واليزيدى النحوى كان يودى المأمون، والفراء كان يؤدب ولدى المأمون، وقيل انه نهض يوما لبعض حوائجه، فابتدرا الى نعله ليقدماها له، فتنازعا بهما يقدمها، ثم اصطلحا على ان يقدم كل مهما واحدة، ورفع ذلك الى المأمون، فاستدعاه فلما دخل عليه، قال له: من اعز الناس؟ قال: لا اعرف أحدا اعز من أمير المؤمنين! فقال المأمون: بل من اذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى يرضى كل واحد متهما ان يقدم له فردا! فقال: يامير المؤمنين، لقد اردت منعتهما عن ذلك، ولكن خشيت ان

(١)تقدم قول ابن عباس بان عمره عشر سنين لما قبض رسول الله ﷺ.
(٢)أي: نائم بنومة القيلولة بين الظهر والعصر.
(٣) صفحات من صبر العلماء للشيخ عبد الفتاح ابو غدة- رحمه الله تعالى (ط2) (ص37).
(٤) نقلا عن تاريخ الادب العربى لمصطفى صادق ألرافعي- رحمه الله- 1/ 39.

ادفعنهما عن مكرمة سبقا اليها، او اكسر نفسيها عن شريفة حرصا عليها.. الخ ».

وأورد المناوى فى شرحه على فيض القدير 1/ 25 قصة لطيفة فى كيفية إلزام العلماء طلاب العلم الادب، وان الادب مفتاح العلم والفهم والصلاح فقال: حكى عن الشمس الجوهرى انه لما شرع فى الاشتغال بالعلم طاف على أكابر علماء بلده، فلم يعجبه منهم احد، لحدة فهمه، حتى اذا جاء الى شيخ الاسلام يحيى المناوى فجلس بين يديه، وفى ظنه انه يلحقه بمن تقدم، فشرع فى القراءة، فتأمل الشيخ، فوجد إصبعا من أصابع رجله مكشوفا، فانتهره وقال له:

بحال انت قليل الادب، لا يجئ منك فى الطلب، غط إصبعك، واستعمل الادب، فحم لوقته، وزال عنه ما كان يجده من الاستخفاف بالناس، ولزم دروسه، حتى صار رأسا عظيما فى العلم.اهـ.

3- **الادب الثالث: أدب الاحترام والتوقير:**

اخرج الترمذى عن انس بن مالك ﷺ قال: جاء شيخ يريد النبى ﷺ فإبطا القوم ان يوسعوا له، فقال النبى ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كنيرنا»(١).

وفى رواية احمد والترمذى والحاكم عن عبادة بن الصامت مرفوعا: «ليس منا من لم يجل كنيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف شرف كنيرنا» (٢).

وفى رواية احمد والترمذى عن عبادة بن الصامت مرفوعا: « ليس منا من لم يجل كنيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»(٣).

وروى ابو داود عن ابى موسىﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ان من إجلال الله تعالى أكرام ذى الشيبة المسلم، وحامل القران غير المغالى فيه، والجافى عنه، وإكرام ذى السلطان المسقط».

وعن ابن عمرﷺ ما- ان النبى ﷺ قال: « أرانى فى المنام، أتسوك بسواك، فجاءنى رجلان، احديهما اكبر من الاخر، فناولت السواك الأصغر، فقيل لي: كبر، فدفعته الى الأكبر من هما». رواه مسلم مسندا والبخارى تعليقا، وروى الشيخان عن ابى يحيى الأنصارى قال: انطلق عبد الله بن سهل، ومحيصة بن مسعود الى خبير وهى يومئذ صلح، فتفرقا، فأتى محيصة الى عبد الله، وهو تشحط فى دمه قتيلا،

(١) صحيح انظر: الجامع رقم (5445) ورواه احمد والطبرانى عن ابن عباس.
(٢) صحيح انظر: صحيح الجامع رقم (5444).
(٣) صحيح انظر: صحيح الجامع رقم (5443).

ثم قدم المدينة، فانطلق عبد الرحمن بن سهل وحريصة ابنا مسعود الى النبى ﷺ فذهب عبد الرحمن يتكلم، فقال عليه الصرة والسلام. : «كبر». أي: ليتكلم الأكبر سنا، وهو لحدث القوم، أي: عبد الرحمن.

وهكذا وجدنا- اخى ويا أختي- اهمية أدب الاحترام والتوقير، للكبار وللعلماء، وتقديم الكبير للكلام، الا اذا طلب من الصغير الكلام، او كان المقام سؤال.

4-الادب الرابع: أدب الإخوة:

تقدم أدب احترام الصغير للكبير وتوقيره، ورحمة الكبير للصغير، وهذا رسول الله ﷺ لا يسمح لأى أخ، سواء كان صغيرا ام كبيرا، ان يشهر أى نوع من السلاح لتخويف أخيه، وإلقاء الرعب فى قلبه:

اخرج مسلم عن ابى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشار الى أخيه بحديدة، فان الملائكة تلعنه، حتى يدعه، وان كان أخاه لأبيه وأمه».

ويؤكد ﷺ للأبناء ان الأخ الكبير له منزلة خصوصية فى الاسلام، وما ذاك الا لتحمله أعباء الأسرة، ومؤ ولية تربية أخوته الصغار، ورعايته لهم:

روى الطبرانى عن كليب الجهنمي ﷺ وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ: « الأكبر من الإخوة بمنزلة الأب» [1]، فاذا ما غرسا فى نفس الصغير الاحترام والتقدير للأخ الكبير، فانه بذلك تسير الأسرة سيرا متوازنا، كل يعرف واجبه نحو الاخر، قبل ان يعرف حقه عليه.

5-الادب الخامس: أدب الجار:

الجار له حقوق كبيرة فى الشريعة الإسلامية، وما ذلك الا لتقوية روابط المجتمع المسلم، وقد كان للطفل آداب مع أطفال جيرانه، ندب اليها الرسول ﷺ الإباء، لتعويد أطفالهم عليها، من حسن التحسس بآلامه، وعدم إيذائه بأى طريقة من طرق الإيذاء، وفى مقدمتها عدم خروج الطفل وبيده شيء من الطعام يأكل منه، او فاكهة يتأولها، ليغيظ بها ولد الجار، الذى قد لا يملك والداه ان يشتريا له، او ان يكون الجار فى ضائقة مالية، لا تمكنه من الشراء الفوري، وبذلك يتعود الطفل الا يأكل فى الطريق، وانما بالبيت، ليكون ذلك ادعى الى الالتزام بالآداب العامة، فمما

(١)قال الهيثم: رواه الطبراني، وفيه الواقي، وهو ضعيف. انظر المجمع (8/ 149).

رواه ألخرائطى والطبرانى عن عمرو بن شعيب قوله ﷺ: « وان اشتريت فاكهة فاهد له، فان لم تفعل، فادخلها سرا، ولا يخرج ولدك ليغيظ بها ولده». فعدم إغاظة الطفل لجيرانه من الاطفال مطلب نبوى لكل طفل مسلم يحب رسول الله ﷺ، ولكل أب وأم فى ان يغرسا ذلك فى قلوب أطفالهم.

ما أعظم الأعظم الاسلام بهذه الادب، عندما يلتزم بها المسلمون، ويتعاملون بها، وفقنى الله وإياك لذلك. ومن عظمة هذه التوجيهات النبوية فى معاملة الجيران، ما اخبرنى به احد الشباب الذين اسلموا عن سبب إسلامه قوله لي: معاملة جيراننا المسلمين لنا، المعاملة الحسنة الكريمة، وكأننى واحد من أسرتهم، عشت مع أطفالهم اثناء طفولتي، مما شجعنى على اعتناق الاسلام.

6-**الادب السادس: أدب الاستذان:**

أدب الاستئذان واجب الكبير والصغير، وله مكانة خاصة فى التشريع الإسلامى حتى خصه الله تعالى بآيات تتلى على مر الأجيال، وتعاقب الزمان، وله اهمية كبرى فى الحياة الاجتماعية والأسرية، لذلك كان يعرفه صغار الإصابة مثل ابى سعيد ألخدرى فضلا عن كبارهم- ﷺ م.

روى التجارى فى الادب المفرد عن عبيد بن عمير ان أبا موسى الأشعرى استأذن على عمر بن الخطاب فلم يؤذن له، وكأنه (أى عمر) كان مشغولا، فرجع ابو موسي، ففرغ عمر فقال: الم اسمع صوت عبد الله بن قيس؟ ائذنوا له قيل: قد رجع، فدعاه فقال: كنا نؤمر بذلك، فقال: تاتينيعلى ذلك بالبينة، فانطلق الى مجلس الأنصاري، فسألهم فقالوا: لا يشهد لك على هذا الا أصغرنا ابو سعيد ألخدري، فذهب بابى سعيد، فقال عمر: اخفى على من امر رسول الله، ألهانى الصفق بالأسواق، يعنى الخروج الى التجارة.

فنسى عمر أمير المؤمنين انه عندما لا يؤذن للشخص بالدخول، فعليه الرجوع من حيث أتي، دون غضب او سخط، فكان الشاهد المذكر على سنة رسول الله ﷺ ابو سعيد ألخدري- ﷺ م أجمعين.

وقد درب القران الكريم الطفل على الاستئذان، فأمر الوالدين بتعليم الطفل الاستئذان، وتدرج فى أحكام الاستئذان، فقبل الاحتلام: يستاذن الطفل فى ثلاث اوقات حرجة فى حياة الوالدين الزوجية، وهي: قبل الفجر، وعند الظهيرة، وبعد العشاء، أي: فى الاوقات التى يخلو فيها الوالدان الى النوم، حيث يكون كل من

الوالدين فى لباس خاص فقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ (النور: 24/ 58) حتى اذا بلغ الطفل الحلم، وقرب منه، ودخل سن التكليف، امر بالاستئذان فى كل ان، فى البيت وغيره، وكلما وجد امامه الباب مغلقا، والى هذا أشارت الاية ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ (النور: 24/ 59).

1. كيف كان رسول الله ﷺ يستاذن؟

يتساءل المرء: ناهى وضعية الانسان عندما يدق باب الآخرين يستاذن عليهم، هل يواجه الباب يوجهه، ام بظهره، ام بنصفه؟

وللإجابة على هذا السؤال، نورد الحديث التالي: اخرج الإمام احمد وابو داود عن عبد الله بن يسر ان النبى ﷺ اذا أتى بابا يريد يستاذن لم يستقبله، جاء يمينا وشمالا، فان أذن له وألا انصرف. وفى رواية لأحمد: كان رسول الله ﷺ اذا أتى بيت قوم أتاه مما يلى جداره، ولا يأتيه مستقبلا بابه.

وروى ابن ماجه بسند ضعيف عن ابى أيوب الأنصاري- رضي الله عنه - قال: قلنا يارسول الله، هذا السلام، فما الاستئذان؟ قال: «يتكلم الرجل: تسبيح، وتكبيرة، وبحميدة، ويتنحنح، ويؤذن أهل البيت».

وقد استأذن النبى ﷺ عندما كان صبيا من أمه حليمة للخروج من البيت، والذهاب الى اللعب مع أخوته، كما تقدم معنا.

وعلى هذا سار السلف الصالح، يعلمون أبناءهم الاستئذان فى كل شيء حتى اللعب:

روى ابو نعيم فى الحلية (2/ 115) ان الربيع بن خيم جاءته ابنته، فقالت: يا أبتاه، اذهب العب؟ قال: اذهبي، فقولى خيرا.

فهو لم يكتف بالإذن لها باللعب، واتبعها بنصيحة ذهبية، وهى حفظ اللسان

اثناء اللعب، وقول الخير، فى ساعة الرضا والغضب اثناء اللعب، وفى لحظة الربح والخسارة.

ب-رسول ﷺ القدوة يستاذن الاطفال:

ان الحق حق، لا يعرف كبيرا ولا صغيرا، وأتباع السنة واجب على الجميع، مهما علت درجاتهم، وبلغت منازلهم، فهذا كلها، ويعرفها رسول الله ﷺ وهو قائد الأمة ومعلمها، يرشد الكبار والصغار فى الأمة كلها، ويعرفها حق الطفل: اخرج البخارى ومسلم عن سهل بن سعد- رضي الله عنه - ان رسول الله ﷺ أتى بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: « اتاذن لى ان أعطى هؤلاء؟» فقال الغلام[1]: لا والله يا رسول الله! لا أوثر بنصيبى منك أحدا، فتله- أي: وضعه- رسول الله ﷺ فى يده .

7- الادب السابع: أدب الطعام:

اخرج البخارى ومسلم ومالك وابو داود والترمذى عن عمر بن ابى سامة رضي الله عنه قال: كنت غلاما فى حجر رسول الله ﷺ فكانت يدى تطيش فى الصدفة، فقال لى رسول الله ﷺ: « يا غلام، سم الله تعالي، وكل بيمينك، وكل **مما يليك**[2]. **فما زالت طعنتى بعد**».

وفى رواية ابن ابى شبيبة فى مصنفه(9/ 83): «يا عمر، . . . يابني.. سم الله... الحديث ».

وروى الإمام احمد عن انس رضي الله عنه قال: بعثت معى ام سليم بمكتل، فيه رطب، الى رسول الله ﷺ، فلم أجده، وخرج قريبا الى مولى له، دعاه صنع له طعاما، قال: فأتيته فاذا هو يأكل، فدعانى لأكل معه، قال: وصنع له ثريدا بلحم وقرع، قال: واذا هو يعجبه القرع، فجعلت اجمعه وأدنيه منه، قال: فلما طعم، رجع الى منزله، قال: ووضعت المكتل بين يديه، قال: فجعل يأكل، ويقسم حتى فرغ من أخره.

وماذا تفعل اذا دخل عليك طفل وأنت تأكل؟

---

(١) فى رواية اخرى ورد انه : ابن عباس، وكان عن يساره ابو بكر- رضى الله عنهم أجمعين.

(٢) الأكل مما يلى الانسان، هذا اذا كان الطعام مرقا، اما اذا كان عددا نحو الفاكهة وغيرها، فيجوز للإنسان اخذ ما ليس يليه، لأنه قد تكون امامه حبة كبيرة وهو يريد الصغيرة، او تكون امامه تفاحة وهو يريد برتقالة، فلا ضير فى الانتقاء اذا كان الطعام جافا وعدديا، وصدق الله العظيم:﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ (سورة الواقعة: 56/ 20) فالتبخير يكون للفاكهة ولذوات العدد، والله اعلم .

روى الطبرانى عن إسحاق بن يحيى بالله ؟قال: كنت مع عيسى بن طلحة فى المسجد، فدخل الصائب بن يزيد، فبعثنى اليه فقال: اذهب الى ذلك الشيخ، فقل له: يقول لك عمى ابن طلحة: هل رايت رسول الله ؟ فذهبت اليه، فقلت: هل رالله،ل الله ؟ فقال: نعم، رايت رسول الله ﷺ، ودخلت عليه انا وغمة معي، فوجدناه يأكل تمرا فى قناع، ومعه ناس من أصحابه، فقبض لنا من ذلك قبضة، ومسح على رؤوسنا.

وقد نبه الإمام الغزالى فى الأحياء فى الجزاء الثالث الى أدب الطعام، التى يحتاج اليها الطفل، استوحاها من جملة الآداب الاسلامية، نضعها بين يديك.

أول ما يغلب عليه– أى الطفل– من الصفات شدة الطعام، فينبغى ان يؤدب فيه مثل:

1. الا اخذ الطعام الا بيمينه، ويقول بسم الله.
2. ويأكل مما يليه.
3. ولا يبادر الى الطعام قبل غيره.
4. ولا يحدق الى الطعام والى من يأكل.
5. وليسرع فى الأكل.
6. ويمضغ الطعام مضغا جيدا.
7. ولا يوالى بين اللقم.
8. ولا يلطخ ثوبه ولأيديه.
9. ويعود الخيار والقفار فى بعض الاوقات، بحيث لا يرى الا دام حتما.
10. ويقبح عنده كثرة الأكل، بان يشبه من يكثر الأكل بالبهائم.
11. وان يذم بين يديه بكثرة الأكل، ويمدح الصبى المتأدب، القليل الأكل، ويحبب اليه الإيثار بالطعام، وقلة المبالاة به.
12. والقناعة بالطعام الخشن.

8– الادب الثامن: أدب مظهر الطفل:

هناك اهتمام من الرسول ﷺ بمظهر الطفل، سواء كان فى شعره وحلاقته، او فى لون لباسه، وخروجه به، فى الطريق.

أ– أدب الشعر والحلاقة:

عن ابن عمر رضي الله عنه ما– قال: رأى رسول الله ﷺ صبيا قد حلق بعض شعر رأسه،

وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك، وقال: «احلقوه كله، او اتركوه كله». رواه ابـو داود بإسناد صحيح على شرط البخارى ومسلم. وفى الصحيحين عـن ابـن عمـر- ﷺ ما- قال: نهى رسول الله ﷺ عن الفزع[1]. علـق ابـن القـيم فى أحكـام المولـود عـلى الحديث بقوله: ان يحلق بعض راس الصبى ويدع بعضه، والفزع أربعة أنواع:

احديهما: ان يحلق من رأسه مواضع، من ها هنـا وهـا هنـا، مـأخوذ مـن تفـزع السحاب، وهو تقطعه.

الثاني: ان يخلق وسطه، ويتلوك جوانبه، كما يفعله شمامسة النصارى.

الثالث: ان يخلق جوانبه، ويترك وسطه، كما يفعله كثير من الأوباش والسفا.

الرابع: ان يخلق مقدمه، ويترك مؤخره، وهذا كله من الفزع، والله اعلم.

وقد اشرف ﷺ على حلاقة بعض الاطفال شخصيا:

عن عبد الله بن جعفر ﷺ ما- ان النبى ﷺ أمهل أل جعفر ثلاثـا[2]، ثـم أتـاهم، فقال: «لا تبكوا على اخى بعد اليوم»، ثم قال: «ادعوا لى بنى اخي» فجيء بنا، كأننـا أفراخ، فقال: « ادعوا لى الحـلاق» فـأمره، فحلـق رؤوسـنا. رواه ابـو داود بإسـناد صحيح على شرط ألبحارى ومسلم.

اما شعر البنت فقد كان لها منه ﷺ نصيب فى التوجيه:

ففى الصحيحين عن أسماء ﷺ ان امراة سالت النبى ﷺ فقالـت: يارسـول الله، ان ابنتى إصابتها الحصبة، فتمزق شعرها، وانى زوجتها، أفاصل فيـه؟ قـال: (لعـن الله الواصلة والموصولة)[3]. الواصلة: التى تصـل شـعرها، او شـعر غيرهـا بشـعر اخري، والموصولة: التى يوصل شعرها.

وهكذا تجد شعر الطفل المسلم متميزا، عـن بـاقى الاطفـال، فـلا يلهـث وراء الموضات المتغيرة، ولا وراء الممثلين الفارغين،مبتعدا عن أى توجيه يخـالف حبيبـه ورسوله ﷺ.

ب-أدب لون اللباس:

---

(١) ورواه ابو حنيفة وأخرجه الستة الا التركي. قاله الزبيدى فى كتاب (عقـود الجـواهر المنيفة) (2/ 156).

(٢) أي: بعد استشهاد ابن عمه جعفر بن ابى طالب فى غـزوة مؤتبـة، فـأراد ﷺ ان يفـك حزن الاطفال على أبيهم، بعد مرور ثلاثة ايام، وان ينبههم للعودة الى الحياة الطبيعيـة بالحلاقة وغيرها. والله اعلم.

(٣) اما الوصل بشعر اصطناعي، أي: من غـير كـائن حـي، فجـائز، كـما فى حاشـية ابـن عابدين الحنفي.

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: رأى النبى ﷺ على ثوبين معصفرين، فقال:«أمك إمرتك بهذا؟» قلت: اغسلنهما، قال: (بل احرقنهما)، وفى رواية: « ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها».

وروى الطبرانى بإسناد حسن عن سعيد بن تميم قال: قال لى النبي: «أين بنوك؟» قلت: ها هم أولاد، قال: «فائتنى بهم» قال: فأتيت أهلي، فألبستهم قمصا بيضاء، ثم أتيته... الحديث.ومما قاله الإمام الغزالى فى الأحياء الجزاء .

الثالث، حول أدب لبس ثياب الصبي، توجيهات طيبة فقال:

« يجبب للصبيان الثياب البيض دون الملون والابريسم، ويقرر عنده(أي: عند الصبي) ان ذلك شان النساء والمخنثين، وان الرجال يستنكفون منه، ويكره عليهم ذلك، ومهما رأى على صبى ثوب من ابرى سم او ملون، فينبغى ان يستنكر، ويذم ذلك)).

ويحفظ الصبى عن الصبيان الذين عودوا التنعم، والترفع، ولبس الثياب الفاخرة.

وشاهد عمر بن الخطاب ﷺ غلاما من الأنصار، وقد رأى ذيله مسترخيا، فقال له: يا غلام، ارفع أزارك، فانه اتقي، وانقي، وابقي، ذكره ابن العربى فى أحكام القران (4/ 1887).

ويشرح للطفل الايام العصيبة الشديدة التى مرت على الوالدين، وماذا كان لباسهم فيها، ليتعرف الطفل الى طبيعة اخشى شان الحياة:

روى الترمذى وقال حديث صحيح عن ابى بردة بن ابى موسى عن أبيه، قال: يابني، لو رايتنا مع رسول الله، وإصابتنا السماء، لحسين ان ريحنا ريح الضان. قال الترمذي: ومعناه: انه كان ثيابهم الصوف، فاذا أصابهم المطر يجئ من ثيابهم ريح الضان. ورواه ابو داود وابن ماجه.

ج- تحريم لبس الحرير على الذكور:

وبناء على القاعدة التى وضعها رسول الله ﷺ فى عدم متابعة الكفار فى اللباس كما فى الحديث السابق « ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»، منذ ان يفتح الطفل عينيه، فيعود سنة رسول الله ﷺ ويبعد عن الالبسة المحرمة، وهذا ما فعله الصحابى الجليل بكل جد وصرامة:

فقد روى الطبرانى عن عبد الله بن يزيد قال: كنا عند عبد الله يعنى ابن مسعود فجاء ابن له، عليه قميص من حرير، قال: من كسال؟ قال: أمي، قال: فشقه، قال:لامك تكسوك غير هذا [1].

قال الإمام الكاسانى فى بدائع الصنائع [2] وهو يتكلم عن تحريم لبس الحرير على الرجال، قال- رحمه الله:

«ولا فرق بين الكبير والصغير فى الحرمة، بعد ان كان ذكرا، لان النبى أراد هذا الحكم على الذكور ة، بقوله عليه الصلاة والسلام: «هذان جرامان على ذكور أمتي»، الا ان اللابس اذا كان صغيرا، فالإثم على من ألبسه، لأعليه، لأنه ليس من أهل التحريم عليه، كما اذا سقى خمرا، فشربها، كان الإثم على الساقي، لأعليه، كذا هنا».

وقال ابن القيم- رحمه الله: « يحرم على الوالى ان يلبسه الصبي»، لما ينشا عليه من صفات أهل التأنيث.

9- الادب التاسع: أدب الإنصات اثناء تلاوة القران:

روى ابن خبير وأسنده الى الزهرى كما ذكر ابن كثير فى تفسيره(2/ 280) قال: نزلت هذه الاية فى فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئا قراه، فنزلت : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف: 7/ 204).

الأساس الخلقى الثاني: غرس حاق الصدق فى الطفل:

خلق الصدق اصل هام من أصول الأخلاق الإسلامية، والتى تحتاج الى جهد لتركيزها وتثبيتها، ورسول الله ﷺ اهتم بتثبيت هذا الخلق فى الطفل، وهو يراقب تصرفات الوالدين مع الطفل، وذلك لتجنب وقوع الوالدين فى رذيلة الكذب على الطفل، ويضع قاعدة عامة: ان الطفل إنسان، له حقوقه فى التعامل الإنساني، ولا يجوز للوالدين خداعه بأية وسيلة كانت، واللامبالاة فى التعامل معه.

اخرج ابو داود عن عبد الله بن عامر قال: دعتنى أمى يوما، ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها رسول اللهﷺ: «ما أرادت ان تعطيه؟» قالت: أردت ان أعطيه تمرا، فقال لها: «اما انك لو لم تعطه شيئا، كتبت عليك كذبة».

---

(١) رواه الطبرانى باستادين ورجال احديهما رجال الصحيح. قاله الهيثم فى المجمع (5/ 144).

(٢) بدائع الصنائع (5/ 131).

واخرج الإمام احمد عن ابى هريرة- ﷺ - عن رسول اللهﷺ انه قال: «من قال لصبى تعال، هال، أعطك، ولم يعطه، كتبت كذبة». واخرج الترمذى عن ابى الحواء السعدى ربيعة بن شينان، قال: قلت للحسين بن على - ﷺ ما: ما حفظت من رسول اللهﷺ؟ قال: حفظت منه : «أدع ما يريبك الى مالا يريبك، فان الصدق طمانية، والكذب ريبة».

ومن أثار تعليم الطفل الصدق انه منجاة للأب كذلك:

روى الإمام احمد ان أبا قيادة- ﷺ - كان له على رجل دين، وكان يأتيه يتقاضاه: فيختبئ منه، فجاء ذات يوم، فخرج الصبي، فسأله عنه، فقال: نعم هو فى البيت يأكل جزيرة (حسا من دقيق ودسم) فناداه: يأفلان، اخرج، فقد أخبرت انك هاهنا، فخرج اليه، فقال: ما يغيبك عني؟ قال: إنى معسر، وليس عندي، قال: الله انك معسر؟ قال: نعم، فبكى ابو قيادة، ثم قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «من نفس عن غريمه، او محا عنه، كان فى ظل العرش يوم القيامة». ورواه مسلم والدامي.

وقد اهتم السلف الصالح بتركيز هذا الخلق، الذى يتفرع عنه الصدق فى الموعد، سواء وعد الكبار للصغار، او وعد الاطفال لبعضهم البعض:

روى الإمام لسمعانى [1] عن ابى إسحاق، عن ابى الاحوص، عن عبد الله- ﷺ - انه قال: «إياكم والروايات، روايتا الكذب، فان الكذب لا يصلح بالجد والهزل، ولا يعد أحدكم صبيه، ثم لا ينجز له».

وروى كذلك عن يحيي: قال سليمان بن داود لابنه: يابني، اذا وعدت فلا تخلف فتستبدل بالمودة بغضا.

ومن القصص البديعة فى التزام الطفل الصدق، وتأثيره فى الكبار، بل والتوبة على يد ذلك الصغير الصادق ، من اكبر عتاولة قطاع الطريق فى عصره، مع عصابته، ما حصل للولى العارف، الداعية الذى خرج مئة ألف داعية، واسلم على يديه اليهود والنصارى، واعتمد نور الدين الزنكى على تلامذته فى جهاده مع الصليبيين الشيخ الإمام عبد القادر الجيلان قدس سره كما قاله ابن تيمية- رحمهما الله تعالي- انه عندما غادر جيلان مودعا أمه التى ربته على خلق الصدق، وأعطته أربعين دينارا، فلما سارت القافلة، اعترضتها جماعة، من اللصوص، من قطاع

(١) أدب الإملاء والاستملاء (ص40)

الطريق، وبدا اللص يسال للمسافر عما لدية من نقود فتنكرها عليه، ثم يستخرجها منه، حتى اذا وصل الى الغلام عبد القادر الجيلان، سأله وهو يعبر الى أخر، ظنا منه بجوابه بالنفي، فاذا بالغلام الصادق يخبره بان معه أربعين دينارا، فيعود اليه اللص، ويعيد عليه السؤال، ويعاود الغلام الصدق، فيطلبها منه، فسيخرجها الغلام من كمه تحت أبطيه، فيزداد اللص عجبا لصدقه وأمانته، وطريقة مخبئه للدنانير، فيسأله عن سبب صدقه؟ فيجاوب الغلام: ان أمى أمرتنى بالصدق وأعطيتها العهد على ذلك، فيأخذه الى رئيس اللصوص، ويعاود عليه الأسئلة، فيقول رئيس اللصوص: يأرب، ان هذا الغلام يصدق فى أحلك الظروف، فأشهدك إننى تبت أليك، فتاب وتاب اللصوص معه، وارجعوا للقافلة ما أخذوه منهم [1].

ان الصدق نور يضئ ظلم النفوس المريضة، ويهدى القلوب المضطربة، ويرشد العقول الشاردة عن الله، اللهم وفقنا الى الصدق فى الأمور كلها.

الأساس الخلقى الثالث: غرس خلق حفظ الأسرار فى الطفل:

عنى رسول الله ﷺ بتنشئة الاطفال على خلق كتم الأسرار، لأنه يمثل صلاح الطفل فى حاله ومستقبله، وسلامة الأسرة وانطلاقها، والمحافظة على المجتمع وبنائه.

ان الطفل الذى يتعود كتم الأسرار، ينشا قوى الإرادة، رابط الجأش، ضابط اللسان، فتنشا عن ذلك الثقة الاجتماعية بين الناس، بحفظ أسرار بعضهم البعض.

فقد اخرج مسلم عن عبد الله بن جعفر- رلضى الله عنهما- قال: «ارفنى رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فاسر الي، لااحدث به أحدا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته: هدف، او حائض نخل».

وقد تقدم معنا حديث انس- رضي الله عنه - وخدمته للنبى ﷺ وتأخره على أمه فقالت: ما إبطاك؟ قلت: بعثنى رسول الله ﷺ فى حاجة، قالت: ما هي؟ قلت: انها سر، فقالت المؤمنة الواعية، الذكية، البصيرة، لتعطى درسا للأمهات فى تعليم الطفل حفظ الأسرار، قالت له: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدا.

الأساس الخلقى الرابع: غرس خلق الأمانة فى الطفل:

الأمانة خلق أصيل، اتصف به سيدنا محمدﷺ من عهد الطفولة الى عهد

(١) انظر (الشيخ عبد القادر الجيلان) سلسلة أعلام المسلمين، تأليف الدكتور عبد الرزاق الكيلان، طبع دار القلم.

الرسالة، حتى وصفه المشركون: ب«الصادق الأمين» وفى ذلك عبرة للطفل المسلم، ان يقتدى برسول اللهﷺ لتساعده فيما بعد على الدعوة الى الله سبحانه وتعالي. وقد حدد ﷺ مسؤولية الولد فى مال أبيه، فيكون أمينا على القيام به، بلا إسراف ولا تبذير، كما فى الصحيح: «والولد راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته» (١).

ونلحظ اهتمام الرسول ﷺ بخلق الأمانة، وتأصيله فى الطفل، انه لم يرض من الطفل خطاه فى هذا الركن، وانما عاقبه، عندما اخل به، وشد أذن الطفل.

قال النووى فى الأذكار: روينا فى كتاب ابن السنى عن عبد الله بن بسر- الصحابي- ﷺ - قال: بعثتنى أمى الى رسول الله بقطف من عنب، فأكلت منه، قبل ان ابلغه إياه، فلما جئت به، اخذ بإذني، وقال: «اغدرا!».

الأساس الخلقى الخامس: غرس خلق سلام الصدر من الاحقاء الأحقاد فى الطفل:

ان سلامة الصدر من الأحقاد تحقيق توازنا نفسيا لدى الانسان، وتعوده على حب الخير للمجتمع، وتطلق عنان قوة الخير للنفس البشرية، الى اعلى قممها.

وقد وجه النبى ﷺ نداء للطفل الناشئ، انس بن مالك، ان يغسل أدران نفسه، صباحا ومساء، فيسامح من أساء اليه، ويفرغ قلبه من أى بقايا من وساوس الشيطان ونفثه، فى الرؤوس والنفوس، فلنسمع سويا الى هذا النداء العجيب العظيم.

اخرج الترمذى وقال: حديث حسن غريب عن انس ﷺ ان رسول الله ﷺ قال لي: «يابني، ان قدرت ان تصبح وتمسي، وليس فى قلبك غش لأحد، فافعل، ثم قال: يابني، وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتى فقد أحياني، ومن أحيانى كان معى فى الجنة». فالجنة والصحبة مع رسول الله ﷺ ، لمن استطاع ان يكون قلبه سليما من الغش، والحقد، والحسد، واللؤم.

الأساس الخلقى السادس: غرس خلق حسن الوفاء بالعهد فى الطفل:

عن عبد الله بن ابى المساء ﷺ قال: بايعت النبى ﷺ ببيع قبل ان يبعث، وبقيت له بقية، فوعدته ان أتيه بها فى مكانه، فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئت، فاذا هو فى مكان! فقال ﷺ:

«ياقتي، لقد شققت علي، انا هنا منذ ثلاث، انتظرك».

---

(١) انظر: السياسة الشرعية لابن تيمية- رحمه الله.

نلاحظ ان رسول ﷺ قد علم ذلك الفتى الوفاء بالعهد علميا، ودون إلقاء المحاضرات الطويلة، وانما بموقف عملي، وكلام قليل مؤثر، بحيث اثر فى نفس ذلك الفتي، فيرونه فى كبره، أي: ان تأثير السلوك العلمي، والقدرة الحسنة، هما أساس المنهج التربوى للصغير والكبير، وعدم الاستهانة بالسلوك امام الصغار لصغرهم، فان ذلك ليربى ولا يعلم شيئا.

ان الطفل يزداد احتراما لوالديه وللكبار لمن يلتزم فى سلوكه لمواعظه، وان يطابق أقواله أفعاله، بل ان الفعل والسوق اقوى تأثيرا، وأدوم فى النفس، وادعى لالتزام الطفل بذلك السلوك.

خاتمة: مثال علمى من خلق رسول الله ﷺ مع الاطفال:

فى ختام هذا المطاف نضع بين يدك نموذج رسول الله ﷺ القائد القدوة للأمة كلها، وكيف كان يتعامل مع الاطفال، يأمرهم، وينهاهم، يمازحهم، ويلحق بهم، يقف خلف الطفل ويبسم له، لا يغضب فى وجههم، ولا يعاتبهم، يرسخ عقيدة القضاء والقدرة عمليا فى نفوسهم، ونأتى على رواية الحديث بشنى طرقه، لما تمتع فى كل منها من زيادة نافعة.

فقد اخرج الإمام احمد والبخارى ومسلم وابو داود عن انس بن مالك ﷺ – قال: خدمت النبى ﷺ عشر سنين، والله ما قال لى أف قط، ولا قال لجشئ لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا.

وفى رواية مسلم: «كان النبى ﷺ من أحسن الناس خلقا فأرسلنى يوما لحاجة، فقلت: والله لا اذهب، وفى نفسى ان اذهب، لما امرنى به نبى الله ﷺ فخرجت حتى امر على الصبيان، وهم يلعبون فى السوق، فاذا برسول الله ﷺ بقفاى من ورائي، فنظرت اليه وهو يضحك، فقال: «انس، والله، لقد خدمته تسع سنين، ما علمته قال لجشئ صنعته: لم فعلت كذا وكذا، او شأ تركته: هلا فعلت كذا وكذا».

وفى رواية احمد قال انس : خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما امرنى بأمر فتوانيت عنه، او ضيعته، فلامني، فان لامنى احد من أهل بيته الا قال: «دعوة، فلو قدر، او قال: ليقضي، ان يكون كان».

وهذا ان دل فإنما يدك على اهتمامه ﷺ ببناء أخلاق الاطفال عمليا، وبالقدوة الحسنة لهم ، فينشئون ارسخ خلقا، واسيت عودا امام التحديات المادية، التى تنتظرهم فى واقع المجتمع، وفى حياة الناس، فلا يفرطون بأخلاقهم الإسلامية امام

عواصف التيارات المنحرفة، التى يمارسها المجتمع الجتهلى عـلى النفـوس المؤمنـة فى عصرنا الحاضر.

وهذا نموذج أخر من اخلاقه ﷺ مع البنات:

روى البخارى عن ام خالد بنت خالد قالت: أتى النبى ﷺ بثياب فيهـا خميصـة سوداء صغيرة، فقال: «من ترون ان نكسو هذه؟ ». فكست القوم، فقـال: «ائتـونى بأم خالد، فأتى بها تحمل، فاخذ الخميصة بيضة فألبسها، وقـال: «ابـلي، واخلقـي». وكان فيها علم اخضر او اصفر، فقال: «يـا ام خالـد! هـذا سـناه فى الحبشـية. رواه البخارى فى كتاب اللباس- باب الخميصة السوداء».

وفى رواية له ايضا- فى كتاب الجهاد باب من تكلـم بالفارسـية- عـن ام خالـد بنـت خالد بن سعيد قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع ابي، وعلى قميص اصـفر، قـال رسـول الله: «سنه.. سنه»، قال عبد الله بن المبارك: وهى فى الحبشية: حسنة. . حسنة.

قالت: فذهبت العب بخاتم النبوة، فز برنى ابي، قال رسول الله ﷺ: «ودعهـا». ثم قال ﷺ: «ابلي، واخلقي، ثم ابلى واخلقي». قال عبد الله بن المبارك: هو مـن رواة سند الحديث: فبقيت حتى ذكر» اهـ.

قال ابن حجر: أى ذكر الراوى من بقائها أمدا طويلا، وذكر بعضـهم دكـن أى اتسخ، ثم قال ابن حجر: قال ابو عبد الله المصنف (البخاري): لم تعش امراة مثل ما عاشت هذه، يعني: ام خالد.

وفى رواية ابن ابى الدنيا فى كتـاب العيـال(1/ 404) تفصـيل وزيـادة، فـأورد بسنده الى سعيد بن عمرو قال: اقبل خالد بن سعيد وعمرو بن سعيد، حتـى دخـلا على رسول الله ﷺ مصرفهم من الحبشة، فقال خالد: يارسـول الله، فـما بالنـا بـدر لم نشهدها؟ فقالﷺ: «يا خالد ، اما ترضى ان يكون للناس هجرة، ولكم هجرتان؟».

قال: بلي، يارسول الله، قال: « فذاك لكم». قال: ومع خالد ابنـة (وهـى كانـت تكنى بأم خالد) عليها قميص اصفر، فقال لها: اذهبى فسـلمى عـلى رسـول اللهﷺ، قال: فانكبت على النبيﷺ، فجعلت تريه قميصها، فقالاها النبـيﷺ: «سـنه ، سـنه» قال: حسن، بلغة الحبشة: « ابلى واخلقى ثم ابلى واخلقي».

ومن هذا الحديث البنتوى الواقعى والعملى نستنتج الملاحظات التربوية التالية:

1. اهتمام الرسول ﷺ بالمهـاجرين وأولادهـم، واسـتقبالهم بالفرحـة والبهجـة

والسرور عند عودتهم، ووعدهم بالأجر المضاعف عند الله تعالي.

2. إهداء الرسول ﷺ البنات الثياب الجميلة، وتخصيصه بالبنت المهاجرة زيادة رعاية.

3. اهتمامه ﷺ بالاطفال وحفظه لأسمائهم.

4. حرص الأب فى توجيه أطفاله للسلام على العلماء والصالحين.

5. جواز لعب الصغير بجسد الكبير ولحيته وشعره وخده وما الى ذلك، ما عدا أماكن العورة.

6. يسمح للصغير ما لا يسمح للكبير.

7. مشاركة الرسولﷺ فرحة الصغير بلباسه الجميل.

8. دعاء الرسولﷺ للصغير بما يفرح به ويحبه بالبركة وطول العمر.

9. خطاب الرسول ﷺ الصغيرة بما تفهم من لغتها الحبشية حيث ولدت فى دار الهجرة فى الحبشة، ونشأت فيها مع والديها المهاجرين.

10. قال ابن بطال: ان المازحة بالقول والفعل مع الصغيرة أنما يقصد به التانيس والتقبيل من جملة ذلك. الفتح (10/ 349).

11. تكرار الدعاء للصغير زيادة فى إدخال السرور على قلبه.

12. التواضع للصغير والاهتمام به عند حضوره.

13. دعوة الإباء لإحضار الأبناء الى المجالس الصالحة.

14. تنبيه الإباء للأبناء باحترام كبار المجلس، وعدم إزعاجهم الا اذا رغب الكبار بذلك.

15. مساعدة أطفال المهاجرين، والمسارعة لكسوتهم، وإصلاح شانهم.

16. دعوة ولى الامر لإهداء ابناء المهاجرين وغيرهم.

17. جواز لبس البنت للباس الملون.

18. بكنية البنات منذ طفولتهن، ومناداتهن بتلك الكنية «ام خالد».

19. حمل الصغير الى مجالس الكبار «فأتى بها تحمل».

20. مناداة الصغير والصغيرة بالكنية تحببنا لقلوبهم «يا ام خالد!».

21. الثناء على لباس الهدية اثناء إعطائها للصغير لتزداد بهجة وفرحة: « هذا سنه» « هذا سناه» أى : حسن.

22. حصول البركة للصغير فى كبره، لمعاشرته الصالحين فى طفولته ودعائهم

له، حيث عاشت البنت عمرا مديدا، وعاشت ثيابها معها حتى تغير لونها.

23.التفاعل مع الصغير اثناء مداعبته، والاهتمام بما يعرضه من أشياء « فانكبت على النبيﷺ فجعلت تريه قميصها».

24.إحضار البنات الصغار الى مجالس الرجال، والى المسجد، وتعرف الناس على تلك البنات.

25.مشاركة ولى الامر للرعية فى شان توزيع الهدايا على الاطفال ومن أحق بها «من ترون ان نكسو هذه؟».

26.أدب الحاضرين بالسكوت مع ولى الامر عندما تكون الهدايا الموزعة على الاطفال قليلة «فسكت القوم».

27.الاهتمام بحفظ أسماء الاطفال: « ينونى بأم خالد».

28.ألباس ولى الامر بيده للطفل العائد من هجرته، زيادة فى أفراحه، وإدخال السرور الى قلبه «فاخذ الخميصة بيده فألبسها».

29.تصحيح الأب خطا ابنته اذا ساخطات فى حق الكبار (فبرنى ابي.....).

30.مبادرة الكبير لتخفيف ردع الادب لأبيه المخطئة. «قال: ودعها» نلاحظ ان التربية البنيوية للطفل تربية عملية واقعية، تمتزج فيها التربية العاطفية النفسية بالتربية الاجتماعية، وتختلطان معا فى التربية البادية، وكذلك التربية البد نية، ويتفاعل الجمع فى تكوين التربية العلمية، كل ذلك يحصل فى كل مشهد وموقف نبوى مع طفل من أطفال المسلمين سواء كان الطفل سبطا من أسباطه كالحسن والحسين، او طفلا من أقربائه كعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر، او من أولاد المهاجرين كأم خالد، او من ابناء الأنصار كابى عمير، لهذا كان المنهج التربوى النبوى للطفل منهجا عمليا وواقعيا، وليس نظريات وراء، وليس تجارب واختبارات، انه يشع بالحيوية، وبنير الطريق امام الإباء والمربين، كيف يعيشون مع الاطفال فيسعدوا ويسعدوا.

وفقنى الله وإياك الى الخلق الحسن، والصبر الجميل، والحلم الكبير، والنفس السمجاء، انه سميع مجيب.

المبحث الثاني

البناء الجسمى للطفل

- **تمهيد**
- **أسس البناء الجسمي:**
- **الأساس الأول:**حق الطفل فى تعلم السباحة، والرماية، وركون الخيل.
- **الأساس الثاني:** أجراء المسابقات الرياضية بين الاطفال.
- **الأساس الثالث:** لعب الكبار مع الاطفال.
- **الأساس الرابع:** لعب الاطفال مع الاطفال.
- **الأساس الخامس:** قبول شهادة الصبيان على بعضهم فى جناياتهم اثناء اللعب.
- **خاتمة:** فوائد الرياضة للأطفال.

«امرنا ان نعلم أولادنا الرمي، والقران»[1]

خالد بن الوليد

(١) كنز العمال (16/ 585) رواه الطبراني.

البناء الجسمى للطفل

تمهيد:

اللعب طبيعة فطرية فى الطفل، جعلها الله غريزة فى نفسه، وذلك لينمو جسمه نموا طبيعيا بشكل قوي، وحيث ان الطفولة البشرية هى أطول الطفلات بين الكائنات الحية، وحيث ان نمو العضلات، ونمو الجسم كله يكون فى هذه الفترة، إذ بعدها يصعب على الجسم ان ينمو أكثر، او يقوى بشكل أجود، او غير ذلك من إشكال النمو فى العضلات، والعظام، والصدر، والرئة، وغيرها.

واذا لا حظنا انه لا يمكن للإنسان ان يصبح رياضيا بعد هذه الفترة بشكل فعال، ويقول: أريد ان ابنى جسمى بعد مضى مرحلة الطفولة له بدون رياضة، فان نسبة نجاح مقولته هذه ضعفي، وبالتالى فان البناء الجسمى للطفل لابد ان يستوفى حقه فى الطفولة، على خلاف الأبواب السابقة، التى اذا فقد فيها الوالدان، او المربون، فانه يمكنهم تداركها فيما بعد.

وقد عرف علماء السلف اهمية لعب الطفل، وبناء جسمه، فقال الأمام الغزالي:

وينبغى ان يؤذن له بعد الفراغ من المكتب- الكتاب القراني- ان يلعب لعبا جميلا، ستفرغ اليه تعب الكتاب بحيث لا يتعب فى اللعب، فان منع الصبى من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائما يميت القلب، ويبطل ذكاءه، وينغص العيش عليه، حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا [1].

لذلك، فان عدم قيام الطفل بالرياضة يؤدى احيانا الى مخاطر جمة، لا تلبث ان تنمو، وتكبر، حتى تظهر فى الحال، او المستقبل فى أى شكل من إشكال الهزال الجسمي، او الانهيار الداخلي، والنفسي.

واذا علمنا ان التكاليف الشرعية التى تنتظر الطفل عندما يدخل فى سن الاحتلام، ويودع مرحلة الطفولة، ويستقبل مرحلة جديدة فى حياته، يحاسب فيها على الكبيرة والصغيرة، ويبدأ القلم بالتسجيل عليه برصد اعماله، وأقوله.. اذا علمنا ان هذه التكاليف تحتاج الى البنية القوية، والجسم المتدرب الرياضي.. وما الصلاة،

(١) الأحياء، الجزء الثالث.

والصيت، والحج، والجهاد الا الدعائم الأساسية لهذا الدين، تحتاج الى المؤمن القوى الفعال، عند ذلك وجب علينا ان نفكر، ونسال أنفسنا: هاهى السبل والقواعد التى نستطيع بها تكوين جسم الطفل؟ وما هى أركان هذا البناء؟

ان نظرة الى الأحاديث النبوية، والسيرة الشريفة، وطريقة تعامله ﷺ مع الاطفال فى توجيههم، وبناء أجسامهم، ترينا أربعة أركان، باتباعها نحصل على بنية جسمية قوية للطفل، فما هى هذه الأركان؟

الأساس الجسمى الأول: حق الطفل فى تعلم السباحة، والرماية، وركون الخيل:

روى عن عمر بن الخطاب- ﷺ - قوله: علموا اولادكم السباحة، والرماية، وان يثبوا على الخيل وثبا.

من هذا يتبين حق الطفل فى تعليم رياضات معينة خصها النبى ﷺ بالذكر دون غيرها، وهذا يدل على ان لها دورا خاصا فى حياة الطفل الحالية والمستقبلية، وان لها دورا كبيرا فى إكساب الثقة فى نفسه بتعلم هذه الرياضات، لما تحمل فى طياتها من مخاوف نفسية عندما يكبر الطفل وهو لا يتقن هذه الرياضات، على خلاف باقى الرياضات التى يستطيع فى كبره ان يتعلمها، ويتقنها نوعا ما اذا مرت طفولته بدون تعلمها.

وهذا ان دل على شيء، فإنما يدل على حرص رسول الله ﷺ فى الرياضة الطفل، لأنه ﷺ سبح وهو صغير فى بستان أخواله بنى النجار، ولعب مع الصبيان[1].

روى ابن سعد عن ابن عباس- ﷺ ما- وغيره، قالوا: كان رسول الله ﷺ مع أمه أمنة بنت وهب، فلما بلغ ست سنين خرجت به الى أخواله بنى النجار (أحوال أمه أمنة) تزورهم به، ومعه ام ايمن- ﷺ ا- تحضنه، وهم على تعيرين، فنزلت به فى دار النابغة، فأقامت به عندهم شهرا، وكان رسول الله ﷺ يذكر أمورا كانت فى مقامه ذلك. ولما نظر اظم بنى عدى بن النجار عرفه، فقال النبى ﷺ- وهو يتذكر طفولته، وما حصل له:

كنت ألاعب إنسية جارية من الأنصار على هذا ألاطم، وكنت مع الغلمان من أخوالي، نطير طائرا كان يقع عليه، ونظر الى الدار فقال:

«ها هنا نزلت بى أمي، وفى هذه الدار قبر ابى عبد الله، وأحسنت العوم فى بئر

(١) رواه احمد عن انس، ثم ساق انس حادثة شق صدر النبى ﷺ فى طفولته.

بنى عدى بن النجار» [1].

ومن ذلك ايضا تشجيعه ﷺ للأطفال على الرمي:

روى ابن جرير فى كتابه « الاثار» [2] بسنده عن على ﷺ قال: ما جمع النبى ﷺ أبويه الا لسعد قال: «ارم، فداك ابى وأمي! ايها الغلام الحرور».

وعن ابى العالية: ان رسول الله ﷺ مر بفتية يرمون، فقال رسول الله ﷺ: «ارموا يابنى إسماعيل، فان أباكم كان راميا». رواه سعيد بن منصور [3].

قال المحقق حبيب الرحمن: ورواه البخارى من حديث مسلمة بن الا كوع.

ويوجه الصحابة أبناءهم الى تعلم الرمى وانه خير اللعب واجلده وأفيده:

روى ابن ابى قشيبة فى مصنفه(9/ 21) (باب ما ينبغى للرجل ان يتعلمه ويعلمه ولده) عن سعد- ﷺ - قال: يابني، تعلموا الرمي، فانه خير لعبكم. ورواه البوار بلفظ «فانه من خير لهوكم» ورمز الأسيوطى لصحته فى الجامع الصغير 3/ 340.

وعن رافع بن سالم الوزارى قال: مر عمر بن الخطاب- ﷺ - فقال: ارموا! فان الرمى عدة وجلاد.

وروى عنه ﷺ انه قال: « علموا بنتكم الرمي، فانه نكاية العدو» [4]. فدل الحديث الشريف ان هدف البناء الجسمى للطفل أنما هو لتحقيق أهداف سامية، وليست هى من باب اللهو والعبث، وانما هى من باب البناء ولتكوين ليكون الطفل جنديا من جنود الاسلام فى المستقبل القريب، كما انه يفهم منذ صغره من هو عدوه، حتى ينشا البناء الجسمى مع البناء العقدي. وهذه ميزة من مميزات المنهج النبوى فى تربية الطفل.

الأساس الجسمى الثاني: أجراء المسابقات الرياضية بين الاطفال:

وهو أساس فعال فى تكوين جسم الطفل، ويساعده على الاهتمام بالرياضة واللعب، وزيادة اعتنائه بجسمه، فقد اجرى ﷺ مسابقة الجرى بين الاطفال من بنى

(١) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد لصالحى (2/ 120).
(٢) (1/ 92). وهو فى سنن الترمذى (5/ 314) ومنتخب كنز العمال (5/ 72).
(٣) (2/ 59). وهو صحيح. انظر: صحيح الجامع رقم (3520).
(٤) رواه الفربابى عن جابر ورمز الأسيوطى لضعفه فى الجامع الصغير4/ 328 وقال المناوب: أفتى ابن الصلاح بان الرمى بلنشات افضل من الضرب بالسيف لأنه ابلغ انكفاء فى الأعداء.

عمه العباس، ويستقبل الفائز بصدره، ثم الاخر، وهكذا.

واخرج احمد عن عبد الله بن الحارث- ﷺ - قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله، وعبيد الله، وكثير من بنى العباس- ﷺ م- ثم يقول: « من سبق الى فله كذا وكذا» قال: فيسبقون اليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم، ويلتزم هم.

وأنت تلاحظ انه يوزع حبه عليهم جميعا، فيقبلهم جمعيا، ولا يقتصر على الفائز منهم فقط، وانما يرعاهم جميعا، خشية دخول الغيرة، والحسد بينهم، وان يكون البناء لهم جميعا دون استثناء.

وروى ابن ابى قشيبة فى مصنفه(12/ 101) عن ابى جعفر قال: اصطرع الحسن والحسين فقال رسول الله ﷺ: «هو حسين» فقالت فاطمة: كأنه أحب أليك؟! قال: «لا ولكن جبريل يقول: هو حسين».

ولا ننسى ان الحسن- ﷺ - اكبر من الحسين بعامين، لذا كان تشجيع الأصغر من الاطفال اثناء المسابقة والمصارعة مطلوب، فالفارق فى السن بين الاطفال يكون كبيرا بينهم من الناحية النفسية والعقلية، لذا فان فى تشجيع الأصغر متهما لفتة نبوية ملائكية رائعة، وذلك للتعويض عن فارق السن.

وفى رواية ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 796) ان الرسول ﷺ كان يشجع الحسن، وجبريل كان يشجع الحسين:

فعن ابى هريرة- ﷺ -قال: كان الحسن والحسين يصطرعان، ورسول الله ﷺ يقول: «هى حسن، هى حسن» فقالت فاطمة: لم تقول هى حسن؟ قال ﷺ: «ان جبريل يقول: هى حسين» [1].

وفى هذا الحديث فائدة توزيع التشجيع، والايقتصر على طفل واحد، وذلك لزيادة الحمية النفسية للعب الاطفال.

وفى الحديثين حضور الوالدين لمصارعة الأبناء، وانه ليس أمرا مشينا كما بظنه البعض، وليس خرقا للاحترام والوقار.

كما انه يجوز لعب الاطفال مع بعضهم البعض مع وجود فارق السن بينهم، وان ملاحظة الوالدين لا استمرار اللعب والمسابقة والمصارعة بين الاطفال ليس من اللهو فى شيء، وانما هو حق الأبوة والأمومة والبنوة.

(١) سنده ضعيف، انظر: دراسة السند فى حاشية كتاب العيال (2/ 796).

الأساس الجسمى الثالث: لعب الكبار مع الصغار والأطفال:

سنعيش ألان مع طائفة من الأحاديث ترينا لعب النبى ﷺ وهو الرسول القائد للأمة يلعب مع الاطفال.. وما هذا الا ليرنى الوالدين والكبار، وليقتدوا به ويلعبوا مع أطفالهم: روى الطبرانى عن ابى أيوب الأنصارى قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين ﷺ ما يلعبان بين يديه او فى حجره فقلت: يارسول الله، اتحبهما؟ فقال: « وكيف لا احبهما؟! وهما ريحانتاى من الدنيا اشمهما».

روى البوار عن سعد بن ابى وقاص قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقلت: يارسول الله ﷺ: «هذان ابنأي؟ وابنا بنتي، اللهم، إنى احبهما، فاح بهما، وأحب من يحباهما».

وروى الحاكم عن إسامة بن زيد ﷺ قال: رايت رسول الله ﷺ وقد حمل الحسن على رقبته، فلقيه رجل، فقال: نعم المركب ركبت يا غلام! فقال رسول الله ﷺ: «ونعم الراكب هو».

فحمل الطفل ومداعبته امام الناس من الأمور المشروعة، فعلها النبى ﷺ، وإشهار نسب الطفل وقرابته من الكبير، والدعاء للطفل اثناء اللعب، ومدح الطفل اثناء اللعب وأمام الكبار، والثناء عليه، كل ذلك يمزج البناء الجسمى مع النفسى والعاطفى للطفل.

وروى ابو يعلى عن عمر بن الخطاب- ﷺ - قال: رايت الحسن والحسين- ﷺ ما- على عاتقى النبى ﷺ فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال ﷺ «ونعم الفارسان هما» كذا فى الكنز (7/ 106) والمجمع (9/ 182)، ورجاله رجال الصحيح، كما فى مجمع الزائد، قال: رواه الزار بإسناد ضعيف، وأخرجه ابن شاهين كما فى الكنز.

وروى الطبرانى عن الثراء بن عازي- ﷺ -قال: كان رسول الله ﷺ يصلي، فجاء الحسن والحسين، او احديهما- ﷺ ما- فركب على ظهره، فكان اذا رفع رأسه قال بيده، فامسكه، او امسكنهما، قال: «نعم المطية مطيتكما». قال الهيثم فى مجمع الزائد (9/ 182): وإسناده حسن.

وعنده ايضا عن جابر- ﷺ - قال: دخلت على النبى ﷺ وهو يمشى على أربع، وعلى ظهره الحسن والحسين- ﷺ ما- وهو يقول: «نعم الجمل جملكما، ونعم العديلان أنتما ».

وروى الشيخان عن عائشة- ﷺ ا- قالت: لقد رايت رسول الله ﷺ يسترنى بردائه، وانا انظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد، حتى أكون انا التى أسامه، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو.

وللنسائى فى اخرى عنها: قالت: وجاءت السودان يلعبون بين يدى رسول الله ﷺ فى يوم عيد، فدعانى رسول الله ﷺ فكنت اطلع عليهم من فوق عاتقه، حتى كنت انا التى انصرفت.

فانت شاهدت أنواعا مختلفة من لعبه ﷺ مع الحسن والحسين، وما ذلك الا ليدلك النبى ﷺ الى فكرة التنوع فى اللعب مع الاطفال، وأنت لاحظت ايضا ثناءه، ومدحه لهما فى اللعب، وذلك ليزيد من نشاطيهما النفسى فى اللعب، فيستمران بلا كلل، ولا تعب، ويتتابعان اللعب بحب وشغف، وذلك ليكون غذاء جسميا ونفسيا فى ان واحد.

الأساس الجسمى الرابع: لعب الاطفال مع الاطفال:

كثيرا ما يكون الوالدان مشغولين بالإعمال المختلفة، عند ذلك يطيحان للطفل ان يلعب مع أخواته، او ابناء جيرانه، او أولاد حيه، او ابناء أقاربه. ويختار الوالدان ان يلعب طفلهما مع أولاد مهذبين، مؤدبين، خشية ان يتعلم طفلهم بذاءة اللسان، او نكر الأخلاق من غضب، وانفعالات فى اثناء اللعب.

وقد شاهد رسول الله ﷺ فى عدة مواطن لعب الاطفال، ولم يبكر عليهم.

روى الطبرانى عن جابر- ﷺ - قال: كنا مع رسول الله ﷺ فدعينا الى طعام، فاذا الحسين يلعب فى الطريق مع صبيان، فأسرع النبى ﷺ امام القوم، ثم بسط يده، فجعل يفرها هنا وها هنا، فيضاحكه رسول الله ﷺ حتى أخذه، فجعل احدى يديه فى ذقنه، وال اخرى بين رأسه وأدبيه، ثم اعتنقه، وقبله، ثم قال «حسين منى وانا منه، أحب الله من احبهما، الحسن والحسين سبطان من الأسباط».

وقد تقدم حديث الصحيحين عن انس- ﷺ - قال: بينما كنت العب مع الغلمان، فجاء رسول الله ﷺ وأرسلنى فى حاجة... الحديث.

وعن ابن عباس- ﷺ - قال: مر بى رسول الله ﷺ وانا العب مع الغلمان، فاختبأت منه خلف باب، فدعاني، فحطابى خطاة، ثم بعثنى الى معاوية، فرجعت اليه فقلت: هو يأكل. رواه احمد فى مسنده (1/ 338).

وقد لعب النبى ﷺ فى طفولته مع الصبيان، واتاه جبريل وهو يلعب مع الصبيان، فأخذه وشق صدره. . . الحديث. رواه احمد فى مسنده (1/ 288).

رويالبيهقى فى الدلائل (1/ 140) عن ابن عباس- رضي الله عنه ما- ان النبى ﷺ لما ترعرع كان يخرج فينظر الى النصيبان يلعبون، فيجتنبهم، فقال لى (أي: أمه حليمة) يوما من الايام:

«ياماه، ما لى لا أرى أخوتى بالنهار؟ قلت: فدتك نفسي، يرعون غنما لنا، فيروحون من ليل الى ليل، فأسبل عينيه فبكي، فقال:

«ياماه، فما اصنع ها هنا وحدي؟ ابعثينى معهم» قلت: وتحب ذلك؟ قال: «نعم»، قالت: فلما أصبح دهنته وكحلته، وقنصته، وعمدت الى خرزة جزع يمانية، فعلقت فى عنقه من العين، واخذ عصا، وخرج مع أخوته، فكان يخرج مسرورا، ويرجع مسرورا، فلما كان يوما من ذلك خرجوا يرعون بهما لنا حول بيوتنا، فلما انتصف النهار اذا انا بابنى مضمرة يعدو فزعا، وجبينه يرشح قد علاه النهر باكيا ينادي: ياابت، ياابه! ويااماه، الحقا اخى محمدا، فما تلحقانه الا ميتا.. وذكر حديث شق الصدر».

فلعب رسول الله ﷺ وهو صبى مع الصبيان فى بادية مكة، وعند أخوال أمه بنى النجار فى المدينة المنورة، يرشدنا لأهمية لعب الاطفال مع بعضهم البعض، وان ذلك حقا من حقوقهم، وانه سبيل تنشئة العضلات وبناء الجسم، وفتح شهية الطعام، وتعود الطفل على الحياة العملية' فتارة يربح، وتارة يخسر، وتارة يحب ، وتارة يكره، وتارة يفرح، وتارة يحزن، وتارة يشارك، وتارة يجرد وينغزا، وتارة يضحك وتارة يبكي، وتارة يأخذ حقه بيده، وتارة يستنصر بأحد والديه، وتارة يتعاون وتارة يصبح أنانيا، وتارة يسر وتارة يغضب.. كل ذلك يحصل للطفل وهو يلعب مع الاطفال، تنتابه تلك المشاعر، ويتصرف تلك التصرفات بلحظات بعيدة احيانا وقرنية احيانا اخري.

وانى وجدت ان الطفل يعيش ويتنفس باللعب كما السمكة بالحركة فى الماء، فاذا خرجت الى الهواء ماتت. وكذلك الطفل ان لم يلعب يمرض ويهزل جسمه ثم يموت.

وحتى قال يحيى الغساني: لا تحزنوا بني! فان الفرحة تشب الصبي. أى تنشطه وتنميه حتى يصير شابا. انظر: كتاب (العيال) (2/ 795) مع الهامش.

وان تنظيم لعب الاطفال مع بعضهم من قبل إبائهم وذويهم يزيد فى استثمار اللعب بشكل افضل، وان انتقاء الاطفال الذين يلعبون مع طفلك، مشاركة فعالة، تطمئن الوالدين على لعب طفلهم.

وقد شاهد ﷺ مصارعة الغلامين قبيل غزوة احد، عندما اعترض احديهما على الاخر لرسول الله ﷺ لقبوله بالاشتراك فى المعركة، وعدم قبول المعترض، وكان فيما قال: يارسول الله، كيف تقبله وانا ان صارعته صرعته؟! فتصارعا امامه، وغلبه كما قال، فقبلاهما رسول الله ﷺ فى دخول المعركة.

وسار السلف الصالح على سنة رسول الله ﷺ يسمحون لأطفالهم باللعب مع الاطفال، فاذا وجدوهم قد خالفوا أمرا قرآنيا او نبويا نهوهم عن ذلك، وبينوا لهم الحلال من الحرام فى اللعب وخارج اللعب.

ونتقل هنا بعض الاثار من كتاب (العيال) لابن ابى الدنيا (2/ 791) باب (اللعب للصبيان):

فعن الحسن انه دخل منزله وصبيان يلعبون فوق البيت، ومعه عبد الله ابنه فنهاهم، فقال الحسن: دعاهم فان اللعب ربيعهم. وعن زيد بن السلائب قال: رايت الصبيان يلعبون بالجور والعلامة (لعبة من لعب ذلك العصر) وخارجة بن زيد- ﷺ - ينظر ولا ينهاهم.

وعن سعيد بن عبد العزيز ان شرجبيل بن المسمط لما حضرته الوفاة قال لبنيه: قوموا فالعبوا، فان الله مؤثر قضاه.

ومر الحسن بغلمان يلعبون، فقال: ما قرت عينى منذ فارقتكم.

وأرى البخارى فى الادب المفرد: ان عبدالله بن عمر- ﷺ ما- مر مرة بالطريق على غلة من الحنش، فراهم يلعبون، فاخرج درهمين فأعطاهم.

اما لعب البنات فقد يختلف عن لعب الصبيان، حيث أجاز العلماء لعب البنت باللعب المجسمة، وذلك استنادا للحديث التالي:

روى ابو داود - وإسناده صحيح - عن عائشة- ﷺ ا- قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، او حنين، وفى سهرتها ستر، فهبت ري، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة -لعب- فقال: «ما هذا الذى أرى وسطهن؟» قالت: فرس، قال: «وما الذى عليه؟» قالت: جناحان، قال: «فرس له جناحان! » قالت: اما سمعت

ان لسلمان خيلا لها أجنحة؟! قالت: فضحك حتى رايت نواجذه.

وروى السخان وابو داود عن عائشة- ﵂ ا- قالت: كنت العب بالبنات عند رسول الله ﷺ وكانت تأتينى صواحبي، فينقعن من رسول الله ﷺ وكان يسربهن الى فيلعبن معي.

البنات: هى التماثيل التى تلعب بها البنات الصغيرات، الانقماع: الاستتار والتعب، ويسربهن: أى يردهن الي.

وعن عائشة- ﵂ ا- ان البنى ﷺ تزوجها وهى بنت سبع سنين، وزفت، وهى بنت تسع سنين و لعبها معها، ومات ﷺ وهى بنت ثمانى عشرة)). رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال(2/ 755) وقال محققه: حديث صحيح وقال: أخرجه مسلم فى كتاب النكاح.

وعن عائشة- ﵂ ا- قالت: لما ملكنى رسول الله ﷺ لقينى فى زفاف، فتناولنى فسابقنى فسبقته، فلما بنى بي، قال: « يا عائشة، هل لك فى السباق؟» فسابقنى فسبقني، فقال: «هذه بتلك». رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 754) وقال محققه: رجاله رجال الصحيح.

ومن الألعاب المنهى عنها:

1. **اتخاذ الحيوان هدفا**

فعن سعيد بن خبير قال: مرت مع ابن عمرو ابن عباس- ﵂ م- فى طريق من طرق المدينة، فاذا فتية قد نصبوا دجاجة يرمونها بسهم كل خاطئة، قال: فغضب، وقال: من فعل هذا؟ قال: فتفرقوا، فقال ابن عمر: لعن رسول الله ﷺ من يمثل بالحيوان. رواه احمد فى مسنده والدامى بلفظ: «فاذا انا بغمة».

ورواه البخارى فى كتاب الذبائح، باب: ما يكره من المسلة، ورواه النسائي.

2. **النهى عن اللعب بالكلاب:**

عن إبراهيم ألنخعى قال: كانوا يرخصون للصبيان فى اللعب كله، الا فى الكلاب. رواه البخارى فى الادب المفرد، وابن ابى الدنيا فى العيال.

3. ا

لنهى عن إيذاء الحيوان فى الحرمين الشريفين(مكة والمدينة المنورة):

روى مالك فى الموطا عن ابى أيوب الأنصاري: انه وجد غلمانا قد الجئوا ثعلبا الى زاؤية، فطردهم عنه. قال مالك: لا اعلم الا انه قال: أفي.

الأساس الجسمى الخامس: قبول شهادة الصبيان على بعضهم فى جناياتهم اثناء اللعب:

فى اثناء لعب الاطفال قد تقع بينهم جنايات فيما بينهم، فيوقع طفل أخر غلى الأرض فينكسر سنه، او تنكسر احدى عظامه، او يخرج جرحا خطيرا، فكيف السبيل لمعرفة الحقيقة؟ وكيف السبيل لمعرفة الضارب من المضروب؟ ومت هى أسباب الضرب التى حصلت؟ وما هى دوافع الجناية التى ارتكبت؟.

روى الإمام مالك فى الموطا (القضاء فى شهادة الصبيان) (2/ 203):

ان عبد الله بن الزبير- ﷺ - كان يقضى بشهادة الصبيان فيما بينهم من الجراح. ثم قال الإمام مالك: «الامر المجتمع عليه عندنا ان شهادة الصبيان تجوز فيما بتهم من الجراح، ولا تجوز فى غيرهم، وانما تجوز شهادتهم فيما بينهم من الجراح احدها، لا تجوز فى غير ذلك، اذا كان ذلك قبل ان يتفرقوا، او يخيبوا، او يعلموا، فان افترقوا فلا شهادة لهم، الا ان يكونوا قد اشهدوا العدول على شهادتهم قبل ان يفترقوا».[1]

وقد ذكر ابن ابى الدنيا بعض الاثار نقتطف منها:

عن محمد بن سيرين- فى شهادة الصبيان- قال: تكتب شهادتهم، ويستشهدون. وعن هشام بن عروة عن أبيه فى شهادة الصبيان: تكتب شهادتهم، ويؤخذ بأول قولهم.

وعن زياد بن الربيع الى حمدى قال: شهدت عند نمامة بن عبد الله بن انس - وكان قاضى البصرة-: وانا صبي، فكتب شهادتي، واستثبتني.

وعن مسروق انه كان عند على بن ابى طالب ﷺ وجاءه خمسة غمة كانوا يتغاوطون فى الماء (أى يدخلون فيه) وإنهم غرقوا غلاما منهم، فقالوا: انا كنا ستة نتعاطى فى الماء، فغرق منا غلام: يشهد الثلاثة على الاثنين أنهما عرقاه، وشهد الثلاثة إنهم غرفوه، فجعل على الاثنين ثلاثة أخماس الدية، وعلى الثلاثة خمس الدية.....

1. **تحذيرين وتنبيه من لعب الصبيان فى الشارع بدءا من غروب الشمس:**

ولا بد ان نذكر وننبه لضرورة دخول الاطفال لبيوتهم قبيل المغرب إيذانا

(١) انظر: كتاب العيال (2/ 839) هذا ورد الشافعية شهادة الصبيان.

بانتهاء اللعب، وذلك لما ورد من الأحاديث النبوية التى تخبرنا بانتشار الشياطين فى الشوارع فى ذلك الوقت، ولا باس بتحفيظ الطفل هذه الأحاديث النبوية، ليعلم ان الامر من الرسول.

روى الحاكم عن جابر مرفوعا: «احسبوا صبياتكم حتى تذهب فزعة العشاء، فإنها ساعة تخترق فيها الشياطين»[1].

وروى احمد والبخارى ومسلو وابو داود والنسائى عن جابر مرفوعا: «اذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم، فان الشياطين تنتشر حينئذ، فاذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم[2]».

وفى رواية البخاري: «فاذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم».

وفى رواية ثانية: «واكفوا صبيانكم عند العشاء». أي: أدخلوهم وضموهم أليكم فى البيت.

وفى رواية لأحمد: «والفتوا صبيانكم عند المساء، فان للجن انتشارا وخطفة» فدلت الرواية ان الجن يمكن ان يمسوا الطفل وهو فى الشارع يلعب فى هذا الوقت. اذا فليحرص الوالدان والمربون على عدم ألعاب أطفالهم بدءا من غروب الشمس.

وفى رواية لأحمد ايضا «ولا ترسلوا فراشيكم[3] وصبيانكم اذا غابت الشمس حتى تذهب فخمة العشاء، فان الشياطين تبعت اذا غابت الشمس، حتى تذهب فخمة العشاء».

خاتمة: فوائد الرياضة للطفل:

على الرغم من ان اللعب هو بالنسبة للراشد لملء وقت الفراغ، الا انه بالنسبة للطفل عبارة عن عمل هام جدا، ومن خلال انغماسه فى اللعب يطور الطفل كلا من عقله وجسده، وبحقيق التكامل ما بين وظائفه الاجتماعية، والانفعالية، والعقلية التى تتضمن التفكير، والمحاكمات العقلية، وحل المشكلات، وسرعة التخيل، كما وتلعب البيئة الطبيعية، وتوجيه الإباء أدوارا حاسمة فى تطوير الطفل من خلال اللعب.

(١) صحيح انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم(905) ورواه احمد.فوهة: أي: أول الليل، تخترق: أي: تمر بشكل عرضى فى الطريق.
(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم(40).
(٣) الواشي: كل ما ينتشر من الدواب كالإبل والغنم (برنامج الحديث، صخر)

ان فترة ما قبل المدرسة فترة مهمة جدا للنمو العقلى للطفل من خلال اللعب، حيث يصل الطفل الى أقصى طاقات النضوج باللعب.

ومن خلال اللعب ايضا يكرر الطفل خبراته السابقة حتى يستطيع ان يستوعبها، وتصبح جزاء من شخصيته، كما ان اللعب يهيئ الطفل للتكيف فى المستقبل من خلال الاستجابات الجديدة التى يقوم بها اثناء لعبه، ولذا لا ينظر الى اللعب ألان على أساس انه مضيعة للوقت، ولكن على أساس انه ضرورى لنمو الطفل، والإباء الذين يحرمون أطفالهم من اللعب فى البيت، او مع أولاد الجيران، أنما يحرمون الطفل من حاجاته الأساسية للنمو!!

وللعب عدد من الفوائد، والقيم:

1- **القيمة الجسدية**: ان اللعب النشيط ضرورى لنمو العضلات للطفل، فمن خلال اللعب يتعلم مهارات الاكتشاف وتجميع الأشياء.

2-**القيمة التربوية**: ان اللعب يفسح المجال امام الطفل كى يتعلم الشئ الكثير من خلال أدوات اللعب المختلفة، كمعرفة الطفل للإشكال المختلفة، والألوان، والإحجام، والملابس... وفى كثير من الأحيان يحصل الطفل على معلومات من خلال اللعب، لا يستطيع الحصول عليها منت مصادر اخري.

3- **القيمة الاجتماعية**: يتعلم الطفل من خلال اللعب كيف يبنى علاقات اجتماعية مع الآخرين، ويتعلم كيفية التعامل معهم بنجاح، كما انه يتعلم من خلال ابلع التعاوني، واللعب مع الكبار الأخذ والعطاء.

4- **القيمة الخلقية**: يتعلم الطفل من خلال اللعب بدايات مفاهيم الخطأ والصواب، كما يتعلم بشكل مبدئى بعض المعايير الخلقية كالعدل، والصدق، والأمانة، وضبط النفس، والروح الرياضية.

5-**القيمة الإبداعية**: يستطيع الطفل عن طريق اللعب ان يعبر عن طاقاته الإبداعية[1]، وان يجرب الأفكار التى يحملها.

6- **القمية الذاتية**: يكتشف الطفل عن طريق اللعب الشيء الكثير من نفسه كمعرفة قدراته، ومهاراته من خلال تعامله مع زملائه، ومقارنة نفسه بهم، كما انه يتعلم من مشاكله، وكيف يمكنه مواجهتها.

(١) أخا الكاتب فقال: الخلاقة، وهذا اصطلاح لا نوافق عليه، لذلك استبدلناها ب(الإبداعية).

7- **القيمة العلاجية**: يصرف الطفل عن طريق اللعب التوتر الذى يتولد نتيجة القيود المختلفة التى تفرض عليه، ولذا نجد ان الاطفال الذين يأتون من بيوت تكثر فيها القيود، والأوامر، والنواهى يلعبون أكثر من غيرهم من الاطفال، كما ان اللعب وسيلة من أحسن الوسائل لتصريف العدوان المكبوت[1].

(١)مجلة العربي، عدد (234) من مقالة الدكتور محيى الدين توق.